المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

الحقائق الاسلاميّة

في الرّدّ

على المزاعم الوهّابية

بأدلّة الكتاب والسنّة النّبويّة

تأليف

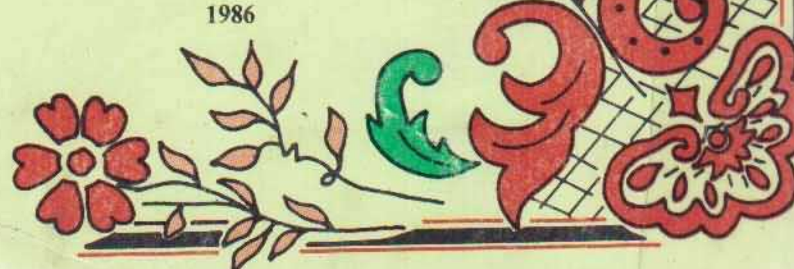
الحاج مالك به ابن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعيى محمود

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست



HAKÎKAT KİTABEVİ
Darüşşefaka Cad. No: 57/A P.K. 35
34262-Fatih İSTANBUL Tel: 523 45 56
TURKEY
1986



قال العلامة محمد ابن علی برکوی فی الطریقة المحمدیة

فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ التَّطْبِيقُ بَيْنَ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَبَيْنَ قَوْلِ الْفُقَهَاءِ إِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ تَكُونُ مُبَاحًا
كَاسْتِعْمَالِ الْمُنْخُلِ وَقَدْ تَكُونُ مُسْتَحَبًّا كَبِنَاءِ الْمَنَارَةِ وَالْمَدَارِسِ
وَتَصْنِيفِ الْكُتُبِ بَلْ قَدْ تَكُونُ وَاجِبًا كَنَظْمِ الدَّلَائِلِ لِرَدِّ شُبَهِ
الْمَلَاحِدَةِ وَنَحْوِهِمْ قُلْنَا لِلْبِدْعَةِ مَعْنًى لُغَوِيٌّ عَامٌّ هُوَ الْمُحْدَثُ
مُطْلَقًا عَادَةً أَوْ عِبَادَةً لِأَنَّهَا اسْمٌ مِنَ الْاِبْتِدَاعِ بِمَعْنَى الْإِحْدَاثِ
كَالرِّفْعَةِ مِنَ الْاِرْتِفَاعِ وَالْخِلْفَةِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَهَذِهِ هِيَ الْمُنْقَسِمُ
فِي عِبَارَةِ الْفُقَهَاءِ يَعْنُونَ بِهَا مَا أُحْدِثَ بَعْدَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ
مُطْلَقًا وَمَعْنًى شَرْعِيٌّ خَاصٌّ هُوَ الزِّيَادَةُ فِي الدِّينِ أَوِ النُّقْصَانُ
مِنْهُ الْحَادِثَانِ بَعْدَ الصَّحَابَةِ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ الشَّارِعِ لَا قَوْلًا وَلَا
فِعْلًا وَلَا صَرِيحًا وَلَا إِشَارَةً فَلَا تَتَنَاوَلُ الْعَادَاتِ أَصْلًا
بَلْ تَقْتَصِرُ عَلَى بَعْضِ الْاِعْتِقَادَاتِ وَبَعْضِ صُوَرِ الْعِبَادَاتِ
فَهَذِهِ هِيَ مُرَادُهُ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ
فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي
وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ وَقَوْلِهِ
عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ

الحقائق الاسلاميّة

فى الرّدّ
على المزاعم الوهّابية
بأدلّة الكتاب والسنّة النّبويّة

تأليف

الحاج مالك به ابن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعيى محمود

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست



يطلب من المكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول - تركيا

هجرى قمرى ١٤٠٧ هجرى شمسى ١٣٦٥ ميلادى ١٩٨٦

BASKI: İhlâs Matbaacılık ve Dağıtım A.Ş.
Cağaloğlu-İST. Tel: 526 18 00

إهداء الكتاب

الى حضرة المجاهد الاكبر، المنهض حاله و الدال على الله مقاله سيدى و مولاى الحاج عبد العزيز سه. خليفة المسلمين و خادم الحضرة الاحمدية فى افريقية الغربية.

إننى أتشرف باهدائكم هذه المؤلفة المتواضعة تقديراً لمساعيكم الحميدة و مجهوداتكم الجبارة التى ما برحتم تبذلونها لصالح الاسلام و المسلمين. و يسعدنا ان نؤكد فى هذه السطور مالفضيلتكم من أياد بيضاء. و مواقف غراء، فى مختلف القضايا الاسلامية منها، و الوطنية. لقد كنتم ــ يافضيلة الشيخ ــ السند الأقوى و القدوة الحسنى لابناء هذه الامة المسلمة. و قمتم خير قيام لتحقيق التضامن واصلاح ذات البين فى ظروف يكاد التعصب بين الطرق الصوفية، و المذاهب الفروعية. يمزق شمل الامة و يوهن قُوَّتَهَا أو يقضى عليها بالكلية.

و لكن لحسن الحظ و بفضل ما اوتيتم به من الحكمة و فصل الخطاب، استطعتم ان تفهموا كل من يفهم القول بان الطرق و المذاهب مهما تعددت و تخالفت فى الاشكال و النظم، فانها تهدف الى تحقيق غاية واحدة و هى توجيه العباد الى معالم العبادات و جعلهم أمة متحدة ذات هدف و شعور مشتركيْن و قد تحقق بحمد الله تعالى فى عهد كم الزاهر الشى الكثير من تلك الاهداف الغالية. فنسأل الله العلى القدير ان يجعل سعيكم مشكورا و جزاءكم موفورا انه تعالى لايضيع أجر المحسنين.

مقدمة

إنهـا محـاولـة كـانـت ولابد من ان نكتبها بمقتضى القضاء و القدر فلولا ذلك لما ظهرت الى الوجود لضعف مستويَيْنا الثقافى و التعبيرى و لأن الكتابة تحتاج أيضا الى مزيد من الآلات غير المداد و القلم. فلسنا متزودين بتلك الآلات التى هى معرفة اساليب الانشاء، و قواعد التركيب و الترتيب. و لسنا كذالك من عارفى التصنيف ولاء الفى التأليف. و لكنا سلكنا مسالك غيرنا، و تحملنا بمالاحول لنا به ولاقوة. و الحق ان سلوكنا و تحملنا بهذا و ذاك انما هو تعبير صادق عن حقيقة رغبتنا لامتحاض النصيحة لعامة المسلمين. و الرسول صلى الله عليه و سلم يقول: **(الدِّينُ نَصِيحَةٌ)**

هذا ولم يكن ليخطر ببالى ان اكتب مثل هذه الرسالة الا بعد ان جالست بعض الوهابيين عدة مرات، و ناقشت معهم شتى الموضوعات الدينية . و اضف الى ذلك ما رأيته فى الكتب من مؤلفاتهم ، و ما استمعت اليه من محاضراتهم و ندواتهم فظهرلى ما يسرونه لغيرهم و ما يعلنون. و وجدتنى - و الحال هذه ـــ مضطرا للدفاع عن المظلومين و ان اكف أيدى المعتدين عملا بقوله تعالى: **(وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ، فأُولٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِن سَبِيلٍ*** الشورى : ٤١) وقوله عليه الصلاة و السلام: **(أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً)**

هذا و يمكن التحقق بان الهدف الوحيد و الغرض الرئيسي من تأليف هذا الكتاب هو بث الحقائق الاسلامية، و تخليص ذوى الافهام المنحرفة من ورطة الافراط و التفريط لاغير. و لست أقصد من ورآء هذا العمل الا الشفقة على الاخوان المسلمين عِلماً بان انتقاد اولياء الله تعالى نذير سوء الخاتمة ـــ و العياذ بالله! - وليس لى أى غرض الى شن الهجوم ضد الوهابيين او التعدى عليهم بالظلم و العدوان. كلاّ! و حاشا!

و لكنى فى الواقع انما اخاطبهم بلسان النصيحة و أذكرهم ـــ ان نفعت الذكرى ـــ بأن دعوتهم هذه، و ان كانت فى البداية لأجل نصرة دين الله الحنيف قد صارت اليوم ـــ و يا للاسف ـــ حجرة عثر فى طريق الاخوة الاسلامية، او شبه جمرة تحركها يد الشيطان فترمى بشرر العداوة بين المسلمين من جهة، و بين ذوى الارحام من جهة أخرى. او بعبارة اخرى ككرة تتقاذفها الاهواء بين فِرق من الجهال و أفراد ممن يسمون أنفسهم **(سُنِّيِّين)**

على الرغم من تجاهلهم و تهاونهم بمعنو يات السنة و مقتضياتها هذا، و قد التزمت من نفسى و حاذرت كل الحذر حرصا على توفير العدالة المنطقية، و نظرا الى أن الحقّ احق ان يُتَّبَعَ ــ إلتزمت ان لا اكتب فى هذه المؤلفة غير الواقع المشهود، استنادا على الحق. و خوفا من ان اكون كالناقد المتطرف الذى يعتمد فيما يكتب او يقول: على القيل و القال. أو على الرجم بالغيب **(وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ* يوسف :٨١)**

هذا و أملى كبير فى ان يطالع هذه السطور آذان واعية و نفوس مستعدة لقبول الحق أيّاً كان مصدره. و لله در القائل: (أُنْظُرْ لِمَعْنَى الْقَوْلِ لاَ لِلْقَائِلِ وَ الْحَقُّ مَقْبُولٌ وَ لَوْ مِن جَاهِلِ) و سميتها بالحقائق الا سلامية فى الرّدّ على المزاعم الوهابية بأدلّة الكتاب و السنّة النبو ية.

ثم انى اعتذر مرة اخرى لكل من اطلع عليها من النحاة و ذوى الثقافة بأنى لا املك غير حسن الظن بالله و هو المسئول بأن يتمم لى المقصود. و يجعلها مقبولة لديه، خالصة لوجهه الكريم، نافعة لمن اطلع عليها، إنه ولى التوفيق و الهادى بمنّه إلى الصراط المستقيم.

الحاجّ مالك بَهْ
نزيل مدينة «كُوتِيَالاَ»
جمهورية «مالى»

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله الذى أنشأ و صور و نشهد ان لا أله غيرك يا من أسمع وأبصر و الصلاة و السلام على مولانا محمد سيد من بشر و أنذر القائل: (مَن كَفَّرَ مُسْلِماً فَقَدْ كَفَرَ) و على اله وصحبه، و من اوى ونصر

اما بعد فان الباعث الوحيد لى الى وضع هذه الرسالة هو النصيحة لعامة المسلمين و الرد على بعض الوهابيين المتطرفين الذين يظنون بالمسلمين غير الحق ظن الجاهلية

و يزعمون أن من لم يكن وهابيا فهو مشرك حتى ولو أقرَّ بالشهادتين و اقام الصلاة و آتى الزكاة و صام رمضان و حج البيت. لأن الوهابية عندهم بمثابة سنة نبوية يجب الاقتداء بها بالقلب و القالب و كأن الوحي الالهي إنما أنزل على محمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ.) لا على محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم. [١]

و أقول بان هذه المزاعم و أمثالها ليس مصدرها إلا الجهل الذى هو الداء العضال فى كل زمان و مكان، و الذى لا يقتل أعضاء الجسم و حدها إنما يقتل معها أعضاء الامة جمعاء.

ولا شك أن هذه الخلافات التى مني بها مجتمعنا القومى فى عصرنا الحالى، جاءت نتيجة لسببين ظاهرين: اولهما: هو الجهل المركب الذى لايميز صاحبه بين الخبيث و الطيب ولا بين المندوب و المكروه ثم لا يعترف بجهله فيسكت. و الثانى: هو عدم فهم بعض المسائل الدينية فهما حقيقيا، مما اتاح لهم فرصة ليحرفوا بعض الآيات و الاحاديث عن مواضعها فيترتب عليه إجرام البريئ تارة و إبرآء المجرم تارة اخرى.

ولأجل هذين السببين عمت البلوى بانتشار الخلافات الدينية مما أدى الى قطع الارحام و هجران المساجد و اختلاف المفاهم و الآراء، و أخيرا اختلط الدين بالطين و انتهى الأمر الى الفوضى. و قديماً سئل حكيم عن كثرة الخلافات فأجاب: **(لو سكت الجاهل لارتفع الخلاف)**

---

(١) اما اولئك الوهابيون المعتدلون الذين لايعتقدون ذلك ولايزعمون تلك المزاعم فلم يتوجه اليهم كلامنا اهـ.

ما احوجنا اليوم الى السعى وراء التفقه فى الدين و الاهتمام به ، كواجب مقدس. و ما أجدر بنا للتمسك بالكتاب و السنة و التقيد بأحكامهما قولا و فعلا.

وما اسعدنا لو وقفنا صفا متحدا و قلبا واحدا ضِدّ هذه الخلافات الهدامة و التقسيمات الطائفية التى شأنها خلق التباغض و التقاطع بين افراد المسلمين و جماعاتهم و حبّذا لو استحضرنا بأذهاننا عهد الخلفاء الراشدين و سلكنا بتصرفاتنا الدينية و الدنيوية نهج المسلمين الاولين من المهاجرين و الأنصار الذين وصفهم الله تعالى بقوله: (أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ* فتح :٢٩) و بقوله: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ* المائدة :٥٤)

و قد كانوا ـــ رحمهم الله ـــ مضرب المثل فى التسامح و التناصح و حسن الجوار و جدير بنا ـــ نحن الخلف ـــ ان نحذو حذو سلفنا الاخيار و نمثل فى كياننا أمة مسلمة متماسكة بمعنى الكلمة هدفها: الاعتصام بحبل الله وغايتها: القضاء على اسباب التخالف و التباغض بين افراد المسلمين و جماعاتهم. كما كان الأمر فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى عهد خلفائه الراشدين رضى الله عنهم.

و هنا نطرح السؤال التالى: ما هى العلوم التى يجب ان نتعلمها لنفهم القرآن الكريم و الشريعة الاسلامية؟ أهى العلوم التى فى الكتب العصرية و التى يؤلفها بعض المتقولين ممن لايعتدُّ بأقوالهم ولا يحتجُّ بآرائهم و إنما يحبون فقط ان تشيع الخلافات بين الأمة؟ ام العلوم التى فى الكتب الأصلية المستنبطة من الكتاب و السنة و من اقوال أئمة المذاهب و رجال الدين؟ و الجواب على السؤال واضح.

و لكى نفهم القرآن الكريم و الشريعة الاسلامية فهما حقيقيا لابدّ و قبل كل شىء من معرفة نصوص القرآن الكريم و أصول الحديث، و الفقه، و اللغة، و النحو، و غيرها...

فهذه كلها علوم ضرورية لايستغنى عنها فى فهم الشريعة. و يجب تعلمها و الاعتناء بها بأكبر قدر ممكن. لأن مالايتم الواجب الاّ به فهو واجب.

و لكن فمن المؤسف جداً انَّ بعض اخواننا الوهابيين لايعرفون من هذه العلوم شيئا ومع ذلك فهم يدّعون المعرفة و التديُّن. و تراهم يتجادلون فى الدين آناء اليل و

اطراف النهار و يفسرون القرآن و الاحاديث الأسواق و الاندية العامة دون معرفة الناسخ او المنسوخ ولا سبب النزول و لكن بآرائهم الشخصية. فكثيرا ما يحرفون الكلم عن مواضعها و العياذ بالله. و فى الحديث: (مَن فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأيِهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ فِي النَّارِ) «اخرجه الترمذى» ولا تكاد تجد منهم من يعرف فى الاسلام اكثر من وقائعه التاريخية و قصصه المسرودة: كفتح مكة و قصة خَيْبَرَ و أحداث بَدْرٍ و أُحُدٍ و حُنَيْنٍ و ما أشبه ذلك من الحروب الاسلامية و تواريخ الخلفاء و الشخصيات البارزة.

و حيث كانت معرفة هذه الحروب مهمة فى نظر الاسلام فإن معرفة نصوص القرآن الكريم و اصول الحديث و الفقه أهمُّ بأضعاف مضاعفة. ذلك لاننا بواسطة هذه العلوم نصل إلى معرفة فروض الاعيان و التمييز بين الحلال و الحرام بينما لانصل إلى معرفة ذلك من خلال الحروب المذكورة.

و على هذا فإن طلاقة اللسان و معرفة هذه الحروب و تلك الاحداث لاتجعل الانسان عالما مادام يجهل فروضه و الواجبات عليه. ولا ينبغى للمسلم ان يصرف همته فى تعلم هذه الحروب و تفاصيلها و ان يستغرق اوقاته فى تتبع مواقعها و نتائجها، حين لايعرف شيئا عن امور دينه و احكام عباداته. بل الواجب عليه أن يهتم أوّلا بتطهير قلبه و تحسين سلوكه و أخلاقه ثم يسعى الى معرفة ما يصلح به فرض عينه من احكام الصّلاة و الطهارة، و الصيام. و ما الى ذلك من فروض الاعيان. و له بعد ذلك أن يتعلم ما يشاء من فروض الكفايات التى من بينها هذه الحروب و تلك القصص و الحكايات.

و مهما تغافل المرء عن تعلم فروضه الْعَيْنِيَّةِ و اشتغل بما دونها من القصص و الحكايات ليميل إليه قلوب العامة و يستجلب مشاعرهم و رضاهم كان مضيعا للوقت و خاسرا فى الحال و المآل .

الاسلام وأهدافه فى توحيد الأمة

الاسلام هو الدين الحنيف الآمر بالتأخى و التألف، و الناهى عن التقاطع و التخالف، و يهدف هذا الدين القويم من خلال أوامره الربانية و توجيهاته النبوية الى خلق جوٍّ يسوده التفاهم و التحابب بين أفراد المسلمين و جماعاتهم و ينادى بأعلى صوته الى الاعتصام بحبل الله و الى اصلاح الأخوة الاسلامية و رعاية حقوق الجوار فى جميع المستويات. و يحرص هذا الدين كل الحرص على التماسك و التحابب بقدر ما يكره التباغض و التخالف. قال الله تعالى: (...**وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...** * الانفال :٤٦) و قال أيضا: (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا** * آل عمران :١٠٣) و يقول الرسول صلوات الله و سلامه عليه: (**لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَ كُنُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً**) رواه انس و قال عليه السلام: (**اَلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**) رواه البخارى و مسلم و قال ايضا: (**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**) رواه البخارى و مسلم

و الاسلام احرص شئ على التوافق و التعاون بين أبنائه و يظهر ذلك جلياً فى كل توجيهاته، و تعليماته، و خاصة فى قواعده الخمس التى هى: الشهادتان، و الصلاة، و الزكاة، و الصوم، و الحج. فالشهادتان تشكلان المورد الالهى العذب، الذى ترده القلوب و الألسنة بين حين و آخر، فترتوى من ماء التوحيد الذى هو السبب الايجابى للحياة الأبدية و السعادة السرمدية

و الشهادتان ـــ بالمعنى الصحيح ـــ تعبران عن لفظ التوحيد و معنييه الحقيقيين و هما أساس القواعد الخمس التى بنى عليها الاسلام.

و الصلاة هى إجتماع مفروض بين المسلمين يَوْمِيّاً ليقوموا الى عملية العبادة بحركات متحدة من قيام، و ركوع، و سجود، و جلوس، و سلام. و يتكرر هذا الاجتماع خمس مرات فى اليوم، فيترتب منه التعارف بين المسلمين و التألف و التعاون فى كل المجالات.

أما الزكاة فهى من اجل مظاهر التعاون و التراحم بين المسلمين و من اسرع جوالب التحابب و التعاطف بين الأغنياء و الفقراء، فالغنى يأخذ كل سنة جزءاً من ماله الخاص ليضعه تحت تصرفات أخيه الفقير و هو لايريد منه الجزاء ولا الشكور. بل يعد ذلك من الواجبات الاجتماعية التى اوجبتها عليه احكام الشريعة الاسلامية العادلة. ثم يأخذه منه ذلك المحتاج شاكرا إياه و الاسلام معا.

ثم يأتى دوْرُ الصوم و كأنه يريد من الغنى ان يتعرف على الظروف التى تحيط بالفقير فيعيش معه نفس الظروف؛ من الجوع و العطش طيلة شهر كامل ليتسنى له بين حين و اخر، ان يتذكر احوال إخوانه الجائعين و ذوى الفاقة فيعطف عليهم و يواسيهم بما تملكه يداه فيحصل له من الله الأجر و من إخوانه الشكر.

ثم الحج الذى هو المؤتمر السنوىّ للمسلمين حيث يتوجهون كل سنة الى اقدس الاماكن واشرف البقاع. و هى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ولزيارة الرسول صلى الله عليه و سلم فى المدينة المنورة و هو فرصة سانحة يغتنمها المسلمون لفائدتهم الدينيّة و الدنيو يّة فى آنٍ واحدٍ...

و الحج مظهر رائع من مظاهر التشابه و المساواة بين طبقات المسلمين من الأغنياء و الفقراء و داعٍ من دعاة التعاطف و عدم التخاصم فيما بينهم قال تعالى: **(فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ* البقرة :١٩٧)**

تلك هى قواعد الاسلام الخمسة و هذه، توجيهاتها و تعليماتها و كلها تهدف أساسا الى توحيد صفوف المسلمين و جمع كلمتهم و احترام بعضهم بعضا. و يتبين للمسلمين من خلال تأملهم الى هذه القواعد الاسلامية و تأثيراتها فى المجتمع بأنهم مطالبون بالتعاطف و التماسك بدلاً من التخالف و التخاصم كما هو الواقع اليوم.

و من هنا نرى و نحكم أن كل دعوة أدَّتْ الى التفرقة و الشقاق بين أفراد الامة فهى دعوة باطلة بأدلة الكتاب و السنة. و هى بالتالى دعوة بريئة من الاسلام، و الاسلام بريىء منها مهما بلغ تأثيرها فى قلوب العامة و مهما كَثُرَ أنصارها و أتباعُها. و فى الحديث: **(أَيُّمَا رَجُلٍ قَامَ يُفَرِّقُ بَيْنَ أُمَّتِى فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ)**

فالدعوة الوهابية كمالا يخفى على أحد كانت و ما زالت مصدر الاختلاف و

الخصومات بين المسلمين، من لدن عهد احمد بن تيمية المؤسس الأول[١] لهذه الدعوة الى عهد محمد بن عبد الوهاب الذى جددها بعد أربعمائة سنة من وفاة ابن تيمية الذى كان قدْ واجه تُهماً شتَّى، مما أدى فى الاخير الى الحكم عليه بالسجن مدى الحياة بسبب تلك الدعوة و قد ظل مسجونا الى ان وافته المنية رحمه الله.

و هنا نلفت انتباه القارئ الكريم الى أن احمد بن تيمية هذا كان واحدا من اكابر العلماء و كان فقيها مشهورا بالزهد و التقى، و يضرب به المثل فى علم الحديث و كان يلقب بشيخ الاسلام الاأنه خالف جمهور العلماء فى بعض المسائل الشيء الذى حط بدولته، الى اسفل الدرجات ولا غرابة فى ذلك فالجواد قد يكبو و السيف قد ينبو.

فقد كان من أمره انه يمنع السفر لزيارة قبر النبى صلى الله عليه و سلم و يحرم التوسل و الاستغاثة بالانبياء و الأولياء و يقول بان ذلك من الشرك بالله كما كان يطعن فى السادة الصوفية و فى اكابرهم من امثال الامام الجنيد البغدادى (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ.) و أبى يزيد البسطامى (المتوفى ٢٣١ او ٢٦١ هـ.) وابن الفارض (المتوفى سنة ٦٣٦ هـ.) والامام الغزالى (المتوفى ٥٠٥) و اضرابهم و كان يهاجم عليهم بافظع العبارت و يبالغ فى الرد عليهم و على منهجهم الصوفى. و ذلك ايضا هو النهج الذى سلكه خليفته محمد بن عبد الوهاب و أتباعه المعاصرون. وهناك مسائل اخرى يتعلق بعضها بالأصول و بعضها بالفروع خالفوا فيها جمهور العلماء وصاروا بها موضع الجدل و الخصومات بين المسلمين.

اما محمد بن عبد الوهاب فقد ظل هو الآخر يعانى مدة حياته حروبا حامية الوطيس بينه و بين علماء عصره الذين كانويعارضونه تماما و يعتبرون دعوته من اخطر الدعوات فى تاريخ الاسلام. فقد رد عليه بعض الاساتذة و العلماء بأبلغ الرسائل و المؤلفات يحذرونه فيها من مغبة هذه الدعوة و يناشدونه التوقف عن شن هجوماته ضد المسلمين الابرياء الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب و الضلال.

و من بين اولئك العلماء كبير مشائخه و هو الشيخ محمّد بن سليمان الكردى[٢] الذى قال من جملة كلامه اليه: يا ابن عبد الوهاب انى أنصحك لله تعالى ان تكف

(١) احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرانى المتوفى ٧٢٨

(٢) المتوفى سنة ١١٩٤

لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به، من دون الله فَعرّفهُ الصواب و أبن له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله فإن أبى فكفّره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين و أنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذّ عن السواد الاعظم اقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى: **(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً* النساء :١١٥)** الاية من سورة النساء

«و انما يأكل الذئب من الغنم القاصية» اهـ:

و كذلك أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الذى ألّف كتابا فى الرد عليه و سماه: بـ «الصواعق الالهية فى الرد على الوهابية»

و هناك مائات من الكتب ألّفت كلها فى الرد عليه و على دعوته الوهابية و لنذكر من بينها على الخصوص:

١ ــ الفجر الصادق فى الرد على منكرى التوسل و الكرامات و الخوارق. *

٢ ــ جلاء الظلام فى الرد على النجدى الذى اضل العوام.

٣ ــ ضياء النهار لابطال شبه الأنوار.

٤ ــ الدرر السنية فى الرّد على الوهابية. *

٥ ــ شواهد الحق فى استغاثة بسيد الخلق. *

٦ ــ ضياء الصدور لمنكرى التوسل باهل القبور.

٧ ــ السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة.

٨ ــ النقول الشرعية فى الرد على الوهابية. *

فهذه جلة قليلة من قائمة الكتب المؤلفة قديما و حديثا فى الرد على الوهابية و على مبادئها الخطيرة و لم اذكر عبارات مؤلفيها رغبة فى الاختصار و خوفا من التطويل.

و بعض العلماء يسمون الدعوة الوهابية بـ «الدعوة الدموية» و ذلك نظرا الى أنها متى ما دخلت فى عائلة أو فى مدينة بادرت ـ كما هو مشاهد ـ الى القاء العداوة و البغضاء بين أهلها ثم لايلبث او يكون الخلاف فالخصومة، ثم القتال، و إراقة الدماء.

---

* هذه الكتب طبعها مكتبة الحقيقة

فالدعوة الوهابية معروفة بهذه الصفات و مقترنة لها منذ فجر ميلادها الى يومنا هذا و التاريخ خير شاهد على صحة ما قلناه.

و نحن لو نظرنا الى احوالنا فيما قبل السبعينات اى قبل انتشار هذه الدعوة فى ربوع بلادنا ثم نظرنا الى ما هى نحن عليه الآن من التباغض و التخالف و التقاطع من جراء هذه الدعوة، لوجدنا العلمآء صادقين فى هذه التسمية. و يخشى لو استمر هذا الوضع ـ لاقدر الله ـ ان تندلع حروب أهلية و مشاجرات دينية لاسبيل الى التخلص منها.

و أقول فان الدعوة الوهابية مهما بلغت من خطورة فى عهد زعمائها الأولين فانها اليوم ـ و الحق اقول ـ قد تطورت و بلغت منتهى الخطورة فى عهد أتباعهم المعاصرين. و خاصة أولئك الذين نعيش معهم فى الزمان و المكان نسمع و نرى ما يقولون و ما يفعلون. و انا لواثقون من انه لو قدر للشيخ ابن عبد الوهاب ان يعود الى الدنيا و يشاهد هذه الكيفية التى عليها بعض اتباعه اليوم، لتبرأ منهم كما يتبرأ المصلح من المفسد. ذلك لانهم اتخذوا هذه الدعوة كسلاح لمحاربة المسلمين و وسيلة الى قطع الارحام و التفريق بين الأمة

هذا ولم تزل الدعوة الوهابية مقترنة بخصوماتها و نزاعاتها تقتفز من أرض لاخرى حتى وصلت الى جمهوريتنا «مالى» فتسابق اليها التجار و الرعاة الذين رفعوها فوق مستواها و غروا بها الشبان و الصبيان و بذلوا بكل مالديهم من حول و قوة و ظهروا على القضآء بما كان عليه السلف الصالح و على انكار اولياء الله تعالى و السادة الصوفية، و رموهم بمالا يليق للاراذل فضلاً عن الفحول الكمل افتراء على الله و اساءوا بهم الأدب و نصبوا مشايخ التربية اصناما و تلامذتهم عبادا و ذكروا فيهم ما أنزه قلمى عن كتابته و كفى بذلك ظلما وزورا، و لم يعلموا ان لحوم أهل الله مسمومة و اكل السم سريع العطب و جاء فى الحديث القدسى: (**مَنْ عَادى لى أوآذَى لى وليّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**) رواه البخارى و فى الحديث النبوى: (**إنَّ اللهَ شَرَّفَ الْكَعْبَةَ وَ عَظَّمَهَا وَلَوْ أنَّ عَبْداً هَدَمَهَا حَجَراً حَجَراً ثُمَّ أَحْرَقَهَا مَا بَلَغَ جُرْمَ مَنِ اسْتَخَفَّ بِوَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى**)

و عن السؤال متى دخلت الحركة الوهابية الى جمهورية «مالى»؟ و من أدخلها؟ و كيف انتشرت فى مدنها و قراها؟

فالجواب: اننا لانعرف بالضبط تاريخ دخولها الى «مالى» ولا أول من أدخلها و لكننا نعرف بالحقيقة انها انتشرت هنا بواسطة بعض التجار و الرعاة و بواسطة بعض الطلبة المتوسطين ممن لاخبرة لهم بالفقه الاسلامى و انما بذهاب هؤلاء الى مكة المكرمة إما لأداء فريضة الحج أو للتعلم فى المدارس هناك و بعد عودتهم الى أرض الوطن يؤكدون لأهلهم و ذويهم ولكل من يتصل بهم بأنهم قد وجدوا فى مكة المكرمة ما يخالف دينهم الذى كانوا عليه أولا، و يلزمونهم بالتأكيد على اتباع هذا الدين و ترك ماسواه ونبذه وراء ظهورهم. و يزعمون بذلك انهم خرجوا من الكفر و دخلوا فى الاسلام من جديد فيستحقون بأن يسموا أنفسهم سنيين و من لم يوافقهم على ذلك فهو عندهم من المشركين.

و من هنا يشرعون فى الانكار و التغيير و يوجهون اللوم مباشرة الى الآباء و الاجداد و الى رجال الدين و علماء الامة و يحملونهم المسؤلية و يبالغون فى قدحهم و الاعتراض عليهم و ربما يصفونهم بالمشركين أو بدعيين!!

و بما ان الناس مولعون ــ عادة ــ بالشئ الجديد فان هذه الحركة قد حظيت اقبالا واسعاً لدى الاوساط العامة. ذلك لكونهم يرون ان ما يقال عن مكة المكرمة أو بالاخرى ما يشاهد فيها قد يكون هو الدين القيم و ما عداه هو الضلال البعيد.

و فوق ذلك كله فليس من المفروض شرعا ان يقتدى جميع المسلمين بأهل مكة بحيث تكون مخالفتهم فى بعض المسائل الفقهية خروجا عن الدين الاسلامى. فالمسلم حرّ فى اقتداء اىّ مذهب من المذاهب الاربعة شاء، و هو حر فى أخذ اية طريقة من الطرق الصوفية أراد، فلا ذنب عليه فى ذلك ولا عيب

الحركة الوهابية و تأثيرها فى المجتمع

ان تأثير الحركة الوهابية فى مجتمعنا الوطنى لأمر يبعث الى القلق و يهدد مستقبل المواطنين و ذلك لمنعها اياهم التمتع بحسن الجوار و احترام بعضهم بعضا.

و قد ظهر للعيان توتر العلاقات الاخوية و قطع الوفاق بين ذوى القربى و اولى الارحام كما شوهد تغير الاحوال الا جتماعية من حسنة الى سيئية و من سيئية الى أسوإ نتيجة لانفجار الثورة الوهابية فى الآونة الاخيرة، و ليس من السهل التغلب على هذه الظروف الحرجة التى نعانيها فى الوقت الحاضر، و التى اخذ يفر فيها المرء الوهابي من اخيه الغير الوهابي بل و من أبيه و امه و كل أصحابه يفر منهم فى حين لاذنب لهم سوى انهم انخرطوا فى سلك السادة الصوفية أو رفضوا التعصب للدعوة الوهابية.

فالقادة الوهابية فى هذا البلد مازالوا مصممين على أن من لم يكن وهابيا فهو مشرك يجب هجرانه ولا يجوز التعامل معه فيما يخص الدين أو الدنيا.

و على هذا يمكن القول بان الدعوة الوهابية - اذا كانت هذه شأنها - فهى متمسكة بأفكار خاطئة و مزاعم باطلة لا تتفق و الحقيقة الواقعة. فلو نظرت بشئ من التأمل الى قادة هذه الطائفة ثم قارنت بين أقوالهم و أفعالهم علمت يقينا بان لهم اهدافا و غايات تدفعهم الى التوسع فى قدح اعراض المسلمين و هتك حرماتهم و الاعتداء عليهم بالظلم و العدوان.

فمن اهدا فهم: التفريق بين الامة الاسلامية لينتهزوا فرصة تضليل العوام و استغلالهم باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية.

اما الغاية التى يسعون الى تحقيقها هى اثبات السنية لهم خاصة، و تكفير جماعة المسلمين من غيرهم.

و هذا ان دل على شئ فإنما يدل على سوء الظن بالمسلمين او عدم معرفة الاسلام بالوجه الذى حدده الرسول عليه السلام و معلوم انه صلى الله عليه و سلم كان قد سئل عن الاسلام فأجاب: (**هُوَ أن تَشْهَدَ أن لاَاِلَهَ اِلاَّاللهُ وَ أنَّ مَحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤتِيَ**

الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) اخرجه الترمذى

و من هنا نتحقق حطأ اولئك الذين يكفرون المسلمين عمداً أو جهلا بعد ما بين الرسول عليه السلام ما يجعل المرء مسلما و بعد ما نهى عن تكفير المسلم.

و الادلة الواردة للرد على مزاعمهم أكثر من ان تعد أو تحصى. فقد منع الرسول صلى الله عليه و سلم تكفير المسلم فى عدة أحاديث منها: قوله عليه السلام: **(إِذَا قَالَ الْمَرْءُ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحُدُهَمَا)** رواه مالك و البخارى و الترمذى

و قوله: **(لاَ يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَتَيْنِ)** و قوله: **(أمِرْتُ أَن أقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أن لاَ إِلَهَ إلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله فَإِن فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلاَّ فى حَقِّ الاسْلاَمِ. وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله)** رواه البخارى و مسلم و قوله عليه السلام: **(الصَّلاَةُ عِمَادُ الدِّينِ مَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَن تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ)** رواه البيهقى و قوله: **(مَن كَفَّرَ مُسْلِماً فَقَدْ كَفَرَ)** الى غيره من الأحاديث المتواترة فكل واحدة من هذه الأحاديث تقتضى بأن لايكفر المرء مسلما مهما اغترف من ذنب

و نحن نتعجب كيف يتجاهل الوهابيون كل هذه الحقائق النبو ية؟ و كيف يسعهم مخالفة الرسول فى التمييز بين المسلم و الكافر؟ و قد قال تعالى: **(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيراً* النساء ١١٥)**

هذا لقد علمنا بمقتضى الأحاديث الآنفة الذكر بأنه لايجوز تكفير المسلم الذى يومن بالله و رسوله و يؤدى قواعد الاسلام الخمس على الوجه المشروع.

فإذا كان العلماء قد أجمعوا على ان الكافر اذا قال: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله مرة واحدة قد دخل فى الاسلام، له ما للمسلمين من حقوق و واجبات. فكيف بمن ولد فى الاسلام و نشأ فيه و رضى به دينا و هو يكرر هذه الكلمة فى اليوم أكثر من مائة مرة؟ فكيف يجوز تكفيره؟ مع العلم بأن الناطق بالشهادتين — فى حكم الشريعة الاسلامية — يعتبر مسلماً بغض النظر عن خفايا قلبه فبعلم ذلك يخصّ الله وحده وجاء فى اسهل المسالك قوله: (وَ رَحمَةُ اللهِ تَعَالَى عَمَّتِ ... كُلَّ امرِإ إيمَانُهُ كالدرة)

و قال شراح هذا البيت: يجب الايمان بأن رحمة الله تعالى تعم كل أحد مات من

الانس و الجن ولم يكن له عمل صالح سوى الايمان بالله فقط...

ثم نتساءل اذا لم تكن القواعد الاسلامية الخمس تمييزاً للمسلم إذن فأين يوجد المسلم؟ وما الذى يجعل المرء مسلما؟ وما هى علاماته و مميزاته؟

فعلى القادة الوهابية ان يفهموا بأنهم مخطؤن فى هذه الناحية و عليهم ان يتراجعوا عن هذه المعتقدات الفاسدة، و ان يفهموا بان الاسلام ليس ملكا لأيمانهم فيدخلون فيه من يريدون، او يخرجون منه من يشاؤن. فليتحققوا بأن الاسلام إنما يسير دائما على نهجه الواضح المستقيم و على حسب البرنامج الذى وضعه الشارع الأمين صلى الله عليه وسلم الذى هو لاينطق عن الهوى.

ولا يخفى على احد منا موقف الوهابيين المتصلب المعارض لجمهور العلماء و المتمثل فى الشعارات المضللة و الدعايات الكاذبة. هبهم خاطئين حين زعموا ان الناس جميعا قبل هذه الدعوة كانوا على ضلال و معصية. و أنها هى الدعوة الوحيدة التى تعنى بإحياء السنة النبوية والمحافظة على التوحيد. عفا الله عنهم من هذه المزاعم اللاحقيقية التى لا حجة لهم بها ولا اساس لصحتها.

فنحن نستغرب جداً كيف تصور لهم أوهامهم هذه المزاعم العقيمة؟ فمن أين لهم تضليل الأمة الاسلامية جميعها أو تكفيرها مالم تعتقد العقيدة الوهابية؟ فكيف حال الامة فى نظرهم قبل ميلاد الزعيم الوهابى و قبل انتشار دعوته الحديثة؟ فهل الشيخ ابن عبدالوهاب هذا الا كواحد من افراد البشر يصيب و يخطئ ؟ أم هو فى عداد المعصومين من الأنبياء و المرسلين؟ و هل من العدالة ان نصدقه هو بمفرده و نتبعه ثم نكذب غيره من اكابر العلماء و جهابذة الفقهاء ؟

فهذا أمر لايمكن ــ فى اعتقادى ــ ان يقبله عقل مفكر مهما كان صاحبه غارقا فى بحر التعصب، و كيف ماكان مغرورا...

و على ضوء هذه الحقائق فإن اقرب دليل للرد عليهم و على احباط مزاعمهم قوله عليه الصلاة و السلام: **(لاَ تَجْتَمِعُ أُمَّتِى عَلَى ضَلاَلَةٍ)** اخرجه الترمذى عن ابن عمر و قوله: **(لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ)** رواه الحاكم.

و من اعظم خطإهم بعد تكفير المسلمين إنكارهم على اولياء الله و كراماتهم مع

أنهم يصدقون با لاختراعات العصرية كالاذاعات و التلفزات و الصواريخ و الهواتف السلكية و اللاسلكية و غيرها من الآلات الكهر بائية التى تحير العقول ، والتى لم يكن الانسان الاول يحلم بها ولا يكاد يصدق بإمكان وجودها فهلا يؤمنوا بأن الذى اعطى للعقل البشرى المهارة على اختراع هذه الاشياء العجيبة، قادر على ان يعطى لأوليائه من الكرامات و خوارق العادات مالا يدركه الفهم ولا يصل إليه القياس. و هو سبحانه و تعالى **(فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد* البروج :١٦)** و **(وَلاَيُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ* الانبياء :٢٣)**

و على الرغم من ثبوت هذه الادلة فهناك جماعة غير قليلة من الوهابيين ينكرون على أولياء الله و كراماتهم و يرفضون حصول الكرامات و الخوارق لهم، زعما بأن مثل هذه، انما يحصل للأنبياء خاصة دون غيرهم من أفراد البشر، و ينزلون هذه الكرامات و الخوارق، منزلة السحر أو الكهانة. ولهم فى ذلك اقوال اعتذر عن حكايتها مراعاة للادب و لعدم مناسبتها لحضرة أولياء الله تعالى اللهم الا ان أقول سامحنا الله و إياهم، و أقال عثراتنا. وعثراتهم ولا يدرى هؤلاء المقصرون بأن ما جاز للنبى معجزة يجوز للولى كرامة و أن كرامات الاولياء و خوارقهم ثابتة فى الكتاب و السنة. وقد ورد ذكرها فى القرأن الكريم فى عدة مواضع. منها قوله عز و جل فى الاخبار عن السيدة مريم رضى الله عنها: **(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً* آل عمران :٣٧)** و كان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء و فاكهة الشتاء فى الصيف. و قوله لها: **(وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً* مريم :٢٥)** و كما ذكر القرأن قصة المرسلين الذين أرسلهم نبى الله عيسى عليه السلام الى أهل انطاكية ليدعوهم الى عبادة الله فصاروا يبرؤن الأكمه والأ برص و يحيون الموتى بإذن الله و ذلك كرامة لهم و معجزة لنبيهم عيسى بن مريم عليه السلام [١] وقد بيّن كتاب الله العزيز كثيرا من الكرامات و الخوارق التى وهبها الله لبعض أوليائه و خصائصهم العلمية و العملية.

و منها ان نبى الله موسى كان تلميذاً للسيد خضر عليهما السلام و كان قد استصحبه مدة من الزمن ليستفيد منه بعض العلوم. **(قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً* الكهف :٦٦)** و أنَّ آصف بن برخيا أحضر لنبى الله سليمان

---

(١) و ذلك عند قوله تعالى (واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون* يس :١٣)

عليه السلام عرش بلقيس فى أقل من طرفة العين وقد كان الهدهد يدله على الماء.

فكل هذه كرامات و خوارق أثبتها الكتاب الكريم بحيث لا يمكن انكارها و لكن مع هذا كله فلا يقتضى ثبوت هذه الكرامات أفضلية الأولياء على الأنبياء -كما يتوهمه بعض الجهال- بل هى مِنَّةٌ مَنَّ الله بها عليهم بصورة المزية ولا يستغرب ذلك فقد يوجد فى النهر ما ليس فى البحر و قد اقتضت حكمة الله تعالى ان يكون للمفضول ما ليس للفاضل.

و معلوم أن نهاية مراتب الأولياء هى بداية مراتب الأنبياء فلا مطمع للولى أن يصل الى غبار النبى فضلا عن أن يماثله او يفضل منه. و لكن فمن الواجب علينا ان نحترم أولياء الله تعالى و نصدق كراماتهم و نعلم بأن الذى أيد الأنبياء بالمعجزات هو الذى أيّد الأولياء بالكرامات فالكرامات فروع من معجزات الانبياء فكل كرامة نالها ولى انما هى من معجزات نبيه وكذلك كرامة أولياء هذه الامة فهى من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

ولذلك كان انكار الكرامات انكارا للمعجزات و انكار المعجزات تكذيب للرسل و هو من الكفر الصريح و العياذ بالله. فلا ينبغى للمسلم ــ والحال هذه ــ أن ينكر على كرامات الأولياء مهما بلغت لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا اعتراض ولا شك أن الجهل خير من علم يؤدى الى انكار أولياء الله و كراماتهم.

فكل ما نحذر اخواننا المسلمين عامة، و الوهابيين خاصة، أن يكفوا عن أذية أهل الله و أكل لحومهم. و ان لا يبادروا الى معارضتهم فى أية مسألة من المسائل الفقهية لكونهم أجدر من أن يكونوا على حجة و بصيرة مما هم فيه ولو انه مخالف للظاهر و قد قيل:

(فَسَلِّمْ لأَهْلِ الله فى كُلِّ مُشْكِلٍ .:. لَدَيكَ لَدَيْهِمْ وَاضِحٌ بِالْأَدِلّةِ)

هذا ولا يجوز لأحد مهما كان عالما ان ينكر الشئ على اساس عدم وجود ذلك فى علمه، لان جوامع العلوم لم تتوفر لاحد سوى الرسول صلى الله عليه و سلم.

و إنما الواجب عليه قبل الشروع فى الانكار ان يعرضه على طرق الشريعة كلها و التى اشار اليها الرسول صلى الله عليه و سلم بقوله: **(إنَّ شَرِيعَتِى جَاءتْ عَلَى ثَلاَثِمَائةٍ وَ سِتِّينَ طَرِيقَةً مَا سَلَكَ أَحَدٌ مِنْهَا طَرِيقَةً إلَّا نَجَا.)**

فإن لم يعرضه على هذه الطرق أولم تكن له معرفة بها أصلا، ففى إنكاره خطر عظيم. و قال العارف بالله:[١]

مَنْ لَمْ يُحِطْ بِجُمْلَةِ الشَّرِيعَةْ   إنْكَارُهُ لِمَهْلَكٍ ذَرِيعَةْ

و قال آخر: وَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي عِلْماً وَمَعْرِفَةً ✻ حَفِظْتَ شَيْئاً وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاء

و يستفاد من الحديث المذكور انه لايجوز اتهام المسلم العارف ولا إنكاره مالم يخالف طرق الشريعة كلها، كما فعل ذلك عبد الرحمان الافريقى، الذى سولت له نفسه الامارة بالسوء أن يؤلف كتابا فى النقد على الطريقة التجانية و الهجوم على شيخنا و وسيلتنا الى ربنا أبى العباس أحمد بن محمد التجانى[٢] و على خليفته المجاهد فى الله الشيخ الحاج عمر الفوتى رضى الله عنهما و قد سمى كتيبه هذا: بـ «الأ نوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية» و هو مطبوع يوزع مجانا الى كل من يريده من المعارضين و المنتقدين لذلك يسعى الوهابيون للحصول عليه ليزدادوا بغضا و حقدا للسادة الصوفية بصورة عامة و للتجانيين بصورة خاصة...

و انا شخصيا لن اهاجم على عبد الرحمان الافريقى ولا أنتقم منه لعلمى بأنه إنما يحارب الله و رسوله بمعاداته لأولياء لله و أصفيائه. بدليل قوله تعالى فى الحديث القدسى: **(مَنْ عَادى لى وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتهُ بِالْحَرْبِ)** رواه البخارى. و خصوصا هذا الولى الر بانى و العارف الصمدانى الشريف الحسنى احمد بن محمد التجانى رضى الله عنه و ارضاه الذى هو يعتبر، واحداً من أبرز علماء الاسلام و علما من اعلام الشريعة و الحقيقة. فشرفه الدينى و النسبى، و تاريخه الحافل بالنشاطات الدينية و التوجيهات الر بانية بالاضافة إلى مرتبتيه الموهوبة و المكسوبة يغنينا عن الدفاع عنه و الاحتجاج له فمناقبه رضى الله عنه و مواقفه اضحة ولا تحتاج الشمس الى دليل.

اما إنكار عبد الرحمان الافريقى على الطريقة التجانية و مبالغته فى النقد عليها و على خاصة أصحاب الشيخ رضى الله عنهم فهو كما قيل: «وَإِذَا أَتتْكَ مَذَمَّتِي مِن نَاقِصٍ ✻ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ» او كقول الامام البوصيرى رضى الله عنه. «قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِن رَمَدٍ ✻ وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِن سَقَمِ»

هذا و تتوفر لدى الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه شواهد الكمالات الحسية و

---

(١) هو السيد الحاج مالك سه رضى الله عنه فى كتابه فاكهة الطلاب ...
(٢) المتوفى ١٢٣٠ هـ .

المعنوية و حسبه فخرا كونه بضعة من رسول الله صلى الله عليه و سلم ولو لم يكن فيه غير هذا التعريف الذهبى لكفى.

فمن كانت هذه سيرته و هذا تعريفه لايمكن لعبد الرحمان الافريقى و أمثاله ان يدنسوا عرضه او يشوشوا سمعته و لايتضرر القمر بنبح الكلاب

و أعرف يقينا بأن تأليفه لهذا الكتاب سيمثل له كالباحث عن حتفه بظلفه، و أنه سيحاسب عليه لما فى الحديث: **(مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وزرها و وِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**

و هذه المؤلفة مِنْ أسوإ المحدثات لما فيها من المنشورات الفظيعة و العبارات الشنيعة الموجهة مباشرة إلى الشيخ أحمد التجانى، و الى الشيخ الحاج عمر الفوتى رضى الله عنهما. و التى تهدف الى تشويش سمعة الطريقة التجانية و الى تجميدها و تحريفها عن موضعها.

و إذا كان هذا التأليف لايأمرنا الا بترك الطريقة التجانية التى مدارها الاستغفار، و الهيللة، و الصلاة على النبى. ولا ينهانا الا من محبة السادة الصوفية و موالاة أولياء الله تعالى. فما الفرق ـــ يَا ترى ـــ بين هذا المؤلف المسبوق و بين اولئك الذين يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف..

و هناك من الوهابيين من اعرف أسماءهم و ألقابهم يأخذون «كتاب جواهر المعانى» إلى الاسواق و إلى أنديتهم العامة رغم مستواهم السافل فى العلوم و الثقافة فيشرعون فى مطالعته، جاهلين او متجاهلين عن مستوى هذا الكتاب الرفيع و ينظرون إليه بعين الانكار و النقد و الاستهزاء و يؤولون عباراته بأقبح التأو يلات حين لايعرفون أن للأولياء كلاما لا يفهمه الا الخواص و رحم الله من قال:

«كَلَامُ الْأَوْلِيَاءِ لَسْتُ أَفْهَمُ * لا نبى أَنَا أَنَا وَهُمُ هُمُ»

و يقول هؤلاء فى الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه ـــ على مرأى و مسمع من الناس ـــ ما هو بريئ منه. و يخوضون فى قدح عرضه، و هتك حرماته ما امكن لهم الخوض و يتنافسون فى ذلك حسب وقاحتهم و عنادهم ويمكرون به، و بطريقته ويمكر الله بهم و هو خير الماكرين وهكذا شاءت الارادة الا لهية ان يكون لأولياء الله فى كل زمان و مكان

أعداء يتحزبون ضدهم و يتآمرون ـ ليطفئوا نور الله بأفواههم ـ و يقولون فى حقهم منكراً من القول وزوراً و يأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره متآمرون.

و قد كانت لهذه الفرقة المتطرفة اليد الطولى فى هذا المضمار لما جبل أفرادها من الشغف للطعن بأولياء الله و قدح اعراضهم و هتك حرماتهم و إساءة الأدب بهم بصفة لامبرر لها ولم يسبق لها مثيل.

الوهابية و منعها التوسل بالأنبياء و الصالحين

قبل الشروع فى تفاصيل هذا الموضوع و البحث عن أحكامه و أهدافه يجب أن نعرف أولا أنه هو الموضوع الرئيسى الذى يمثل جوهر المشكلة و لب الخلاف بين الوهابيين المتطرفين و المسلمين المعتدلين.ذلك لأن الوهابيين يمنعون التوسل بالأنبياء و الأ ولياء و الصالحين و يبالغون فى نفيه و انكاره بل و يحرمونه اطلاقا و يزعمون انه من الشرك بالله. ويحملون جميع الآيات القرآنية النازلة فى المشركين و من يعبدون الأصنام على المتوسلين و المستغيثين بالأنبياء و الصالحين. فمن هذه الآيات قوله تعالى: **(وَمَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ الله من لاَيَسْتَجِيبُ لَهُ اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ* الاحقاف :٥)** و قوله جل شانه: **(فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَداً* الجن :١٨)** وقوله: **(وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ الله مَالاَيَنْفَعُكَ وَلاَيَضُرُّكَ فَإن فَعَلْتَ فَإنَّكَ إذاً مِنَ الظَّالِمِينَ* يونس :١٠٦)**

و يزعمون أن كل من استغاث بالنبى صلى الله عليه و سلم أو توسل به او بغيره من الأنبياء والأ ولياء والصالحين أو ناداهم او سألهم الشفاعة يكون معدودا فى جملة هٰؤلاء المشركين و داخلا فى عموم وعيد هذه الآيات. و هو عندهم بمنزلة من يعبد الأصنام، و يتخذ من دون الله شركاء. و من هنا ثارت ثائرة العداوة و الخلافات و قامت القيامة بين أفراد المسلمين و جماعاتهم بصفة لايمكن تسو يتها طالما يُصر الوهابيون على هذ الموقف المتطرف المتمثل فى تضليل الأمة أو تكفيرها و المتعارض لنصوص الكتاب و السنة و الاجماع.

والوهابيون ــ فى هذا التأويل البعيد ــ معذورون من حيث الخطإ فى فهم معنى كلمة «الدُّعَاء» التى تأتى حينا بمعنى العبادة و أحيانا بمعنى النداء و ظنوا أن هذه الكلمة فى جميع هذه الآيات وما أشبهها معناها النداء لاغير. و لذلك يحرمون نداء غيرالله كماتحرم العبادة من دونه تعالى. وحيث ذهبوا هذا المذهب و وقفوا عند هذا الحدّ فهم مقصّرون عن ادراك كُنْهِ هذه الكلمة لُغَةً و اصْطِلاَحاً فيجب أن نعذّر لهم او ننذرهم.

و كلمة الدعاء فى اللغة العربية لفظ مشترك بين عدة معان:

منها: العبادة كقوله تعالى: **(أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا* الجن :١٨)**

و منها: النسبة كقوله تعالى: **(ادعوهم لآبائهم* الاحزاب :٥)** اى انسبوهم اليهم

ومنها: النداء كقوله تعالى: **(وادعوا شهداءكم من دون الله* البقرة :٢٣)** اى نادوهم

و منها: السؤال كقوله تعالى: **(ادعونى استجب لكم *المؤمن : ٦٠)** اى إسألونى

و منها: الدعوة الى الشئ كقوله تعالى: **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة* النحل: ١٢٥)** الآية

و منها: التمنى كقوله تعالى: **(ولهم ما يَدَّعُونَ *يس: ٥٧)**

و منها: القول كقوله تعالى: **(دعواهم فيها سبحانك اللهم *يونس: ١٠)**

و منها: التسمية كقوله تعالى: **(لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا* النور: ٦٣)**

وليس فى القرآن الكريم ولا فى اللغة العربية ان كلمة الدعاء تاتى بمعنى التوسل و قد تحقق أنَّ معنى التوسل غيرمعنى العبادة لغة و شرعا. ولا سبيل إذاً الى تكفير المسلمين المتوسلين بجاه الصالحين بالقياسات الفاسدة اه.فتأمل.

و كلمة «الدعاء» فى جميع هذه الآيات الآنفة الذكر و ما أشبهها معناها العبادة لا النداء.

ولا يخفى أن نداء غير الله تعالى كنداء الانسان حيا أو ميتا يجوز شرعا و ضرورى ايضا لتعلقه على الحوائج الشرعيّة و المعاملات الدينيّة و الدنيويّة و قد جاء نداء الأموات من الاحاديث الواردة فى زيارة القبور كقول الزائر: **(السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤمِنِينَ وَ إِنَّا ان شاء الله بِكُمْ لاَحِقُونَ)** ففى هذا النداء للاموات

خطابهم. وإنما يجب ان نميز بين كلمة «الدعاء» التى بمعنى العبادة والتى بمعنى النداء، كيلا نضل ولا نُضل...

اما التوسل فجائز شرعا ومرغوب فيه أيضا لانه من فعل الأنبياء و السلف الصالحين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.

و قد توسل ابونا أدم بسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم لما فى الحديث: (**لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ أسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلاَّ ما غَفَرْتَ لِى فَقَالَ اللهُ تَعَالى يَا آدَمُ كَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أخْلُقْهُ قَالَ يَا رَبِّ إِنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِى رَفَعْتُ رَأْسِى رَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوباً «لاَاِلَهَ إِلاَّاللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» فَعَلِمْتُ انَّكَ لَمْ تُضِفْ إِسْمَكَ إِلاَّ أَحَب الْخَلْقِ إِلَيْكَ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لأَحَب الْخَلْقِ إِلَىَّ وَإِذَا سَأَلْتَنِى بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلاَ مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ**) رواه الحاكم و صححه الطبرانى.

و الى هذا الحديث أشار الامام مالك رضى الله عنه للخليفة المنصور لما سأله و هو بالمسجد النبوى فقال لمالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة و أدعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم و أدعو؟ فقال له الامام مالك رضى الله عنه و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبل و استشفع به فيشفعه الله فيك...

و أما صدور التوسل من النبى صلى الله عليه و سلم فقد صح فى احاديث كثيرة منها قوله: (**اَللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ**)

و صح عنه صلى الله عليه و سلم أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على ابن أبى طالب رضى الله عنهما الحدها صلى الله عليه و سلم فى القبر بيده الشريفة و قال: (**اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمِّى فَاطِمَةِ بِنتِ أَسَدٍ وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مَدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالأَنبِيَاء الذِينَ مِن قَبْلِى إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**)

وكان الصحابة يتوسلون برسول الله فى حياته و بعد وفاته صلى الله عليه و سلم. وقد روى البيهقى و ابن ابى شيبة باسناد صحيح: ان الناس اصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضى الله عنه الى القبر الشريف و كان من اصحاب النبى صلى الله عليه و سلم و قال يارسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المنام و اخبره انهم يسقون و كان كذلك.

فإتيان هذا الصحابى الجليل الى القبر الشريف ونداءه للرسول عليه السلام ليطلب منه ان يستسقى لا مته فهو دليل آخر على أنه جائز و هو من باب التوسل و التشفع و الاستغاثة به صلى الله عليه و سلم وذلك من اعظم القربات و روى عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب و قال: «اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه و سلم فتسقينا و انا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا» قال فيسقون انتهى و فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حجة على التحقيق لقوله صلى الله عليه و سلم فى حقه: (إِنَّ اللهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ)

و مما ذكر فى هذا الباب دليل على ان التوسل بالأموات و خاصة عند أضرحتهم جائز لفعل بلال بن الحارث رضى الله عنه ذلك، عند القبر الشريف.

و كذلك التوسل بغير الأنبياء جائز هو أيضا لموافقته، بفعل سيدنا عمر بن الخطاب. الذى توسل الى الله بسيدنا عباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه ...

و من ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضى الله عنه التى رواها الطبرانى فى الكبير و فيها ان سواد بن قارب أنشد رسول الله صلى الله عليه و سلم قصيدة قال فيها:

«و أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لاَرَبَّ غَيْرَهُ ... وَ أَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسلينَ وَسِيلَةً

وَأَنَّكَ مأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ ... إِلَى اللهِ يا ابْنَ الاَكْرَمِينَ الاطَايِبِ

وَكُن لِى شَفِعاً يَوْمَ لاَذُو شَفَاعَةٍ

بِمُغْن فَتِيلاً سَوَادِ بْنِ قَارِبِ»

فلم ينكر عليه رسول الله قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله و كن لى شفيعا. و كذلك من أدلة التوسل مرثية صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها عمة رسول الله فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه و سلم بأبيات قالت فيها:

«ألاَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْتَ رَجَاؤُنَا

وَ كُنْتَ بِنَا بَرّاً وَلَمْ تَكُ جَافِيًا»

ففيها النداء بعد وفاته و لم ينكر عليها أحد من الصحابة قوله يا رسول الله أنت

رجاؤنا. و قد ذكر العلامة ابن حجر[١] فى كتابه المسمى بالخيرات الحسان ان الامام الشافعى كان يتوسل بالامام ابى حنيفة رضى الله عنهما و قد ثبت ايضا ان الامام احمد بن حنبل كان يتوسل بالامام الشافعى و قد صح ان الشافعى رضى الله عنه توسل بأهل البيت النبوى بأبيات قال فيها:

«آلُ النَّبِيِّ ذَرِيعَتِي ... هُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَتِي
أَرْجُو بِهِمْ أُعْطَى غَداً ... بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي»

فكل هذه توسلات صريحة صدرت بعضها عن رسول الله عليه و سلم و بعضها عن أصحابه الكرام وعن الأئمة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين و ليس فى ذلك كفر و لااشراك و من تتبع أذكار السلف الصالحين و أدعيتهم و اورادهم وجد فيها شيئا كثيرا من التوسل و لم ينكر عليهم احد فى ذلك حتى جاء هٰؤلاء المنكرون الذين عمدوا الى تحريمه و توصلوا بذلك الى تكفير أكثر الأمة من العلماء و العباد و الزهاد و قالوا انهم مثل اولٰئك المشركين الذين قالوا **(ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * الزمر: ٣)**
«سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ!»

وحاصل شبهة هٰؤلاء المانعين للتوسل انهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى و يطلبون من الأولياء ــ احياء و أمواتا ــ اشياء جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى و يقولون للولى مثلا: افعل لى كذا و كذا او نجنى من كذا و كذا فأراد هٰؤلاء المانعون للتوسل ان يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة.

نعم نحن نوافق مع هٰؤلاء المانعين فى ناحية و نؤيدهم على منع العامة من تلك التوسعات المتطرفة و نقف بجانبهم فى سد ذرائع الفساد و دفع الايهام. و لكن من ناحية اخرى نقول لهم:

اذا كان الأمر كذلك وقصدكم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم؟ وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا؟ بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا

---

(١) شهاب الدين احمد بن محمد المكى الشافعى المتوفى سنة: ٩٧٤

العامة من تلك الألفاظ الموهمة و تأمروهم بسلوك الأدب فى التوسل دون تكفيرهم أو إشراكهم مع ان تلك الالفاظ يجب حملها على المجاز العقلى و هو جائز و مستعمل على ألسنة جميع المسلمين و وارد فى الكتاب العزيز و السنة المطهرة. الا ترى انه يجوز لأحدنا ان يقول أعطانى فلان كذا و منعنى فلان عن كذا، او نفعنى زيد أو ضرنى عمر، مع العلم بان الله تعالى وحده هو الضار و النافع و هو المعطى و المانع فإسناد هذه الأفعال الى غير الله تعالى يعتبر مجازا عقليا لايؤدى بقائله الى الكفر ولا الى الشرك و له شواهد كثيرة فى الكتاب و السنة. منها قوله تعالى: (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * طه: ٨٥) وقوله: (وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ * البقرة: ٢٥١)

فإسناد الاضلال والقتل هنا الى السامرى و الى داود مجازى. و إلا، قال الله تعالى وحده هو المضل و المميت وجاء فى الحديث كما فى صحيح البخارى فى مبحث الحشر و وقوف الناس للحساب يوم القيامة. (بَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ اِسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ بِمُوسَى ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فإسناد الاستغاثة الى هؤلاء الأنبياء مجازى و المستغاث به، حقيقة هو الله تعالى وحده.

فهذه كلها أدلة ثابتة و براهين قاطعة لجواز التوسل و الاستغاثة بالأنبياء وللأولياء والصالحين. و فيها الكفاية لمن اراد الله له الهداية والتوفيق وأما من انطمست بصيرته وانسدت حواسه. فما تغنى عنه الآيات و النذر ولا يفيده الوعظ و التذكير.

ونحن فى توسلنا با لأنبياء و الأولياء لانعتقد انهم يستحقون العبادة ولا انهم يخلقون شيئا او يملكون ضرا أو نفعا، ولا نعتقد أن لهم تأثيرا فى شئ من الأشياء و كلما هنالك بيننا و بين الأولياء إنما هو احترام فقط غير خارج عن حدود مرتبة المخلوق الموجود من العدم و العائد الى الفناء. لا كتعظيم الخالق المعبود الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد. فنداؤنا بهم لايعنى سوى التبرك بأسمائهم، و الاستئناس بذكرهم لكونهم عبادا مكرمين، اصطفاهم الله و هداهم، و خصهم بحظوة من عنايته الربانية، و فيضة من نفحاته الرحمانية، فبذكرهم تتنزل الرحمات. و به تحيى القلوب و تنشط العضلات.

و هذه هى غاية ما نقصد فى التوسل بالأولياء و الصالحين و ليس فينا من يركع او يسجد لنبى، أو لولى، أو لشيخ! و لكننا لانعبد الا الله ولا ندعو الا اياه. و فى الحديث: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) و نحن نحمد الله تعالى من المؤمنين

الموحدين بكل ما للكلمة من معنى.

فالتوحيد عقيدتنا و العمل به، شريعتنا فلن نحيد عن عقيدتنا ولن نهين بشريعتنا. (**وَمَا كَانَ لَنَا أَن نُشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ* يوسف :٣٨**) اما اولئك الوهابيون الذين يتظاهرون بالذبّ عن التوحيد و يجوزون التوسل بالأحياء و الاستعانة بهم فى أمر من الامور الدنيوية و يحرمون ذلك فى الأموات قد دخلوا فى الشرك من حيث لايشعرون لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات مع أنه لا تأثير لاحد فى الحقيقة حياً كان او ميتاً و إنما المؤثر الحقيقى هو الله تعالى وحده...

فلينتبه الوهابيون لهذه الحقائق و ليعلموا أن ليس فى هذه التوسلات ما يستلزم تكفير المسلم، الذى يشهد أن لا اله الا الله و انَّ محمداً رسول الله. و لمزيد من التوضيح فى هذا الموضوع فإن منكرى التوسل بالانبيآء و الصالحين قد لاينكرون على مناسك الحج التى فرضها الله علينا و التى من بينها: الطواف بالبيت العتيق و تقبيل الحجر الاسود والسعى بين الصفا و المروة و الوقوف بعرفات.

و معلوم ان هذه الاشياء ليست إلا جمادات لا تضر و لا تنفع ولكن قد شرفها الله تعالى و عظمها وأمرنا كذلك بتعظيمها و التبرك بها و الدعاء عندها بجميع حوآئجنا الدنيوية و الاخروية.

و نحن نعلم علم اليقين بأنها لا تأثير لها فى قضاء الحوائج ولا قدرة لها على صرف الاقدار ولكن هل يقال ان من قصدها أو تضرع لديها قد كفر بالله أو اشرك به؟ لا! و كلا!

فاذا كانت الجمادات قد حازت هذه الفضائل بمحض فضل الله و إرادته فكيف بأنبياء الله و أوليائه، الذين هم سادة الخلق و قادة الانام فعند ذكرهم تتنزل الرحمات و بسبب وجودهم ترفع النقمات.

هذا و من الخطإ الواضح ما زعمه الوهابيون و عقدوا عليه العزم و هو ان نداء الأنبياء او الأولياء نوع من انواع الشرك لانه نداء لِغير الله و يقولون بأن ظاهر النداء لابد و ان يدل على ان المنادِىَ يَعتقد من المنادَى به القدرة او التأثير. و حينئذ فاعتقاد القدرة او

التاثير من احد غير الله تعالى شرك لامحالة.

نعم قد يكون هذا الرأى الخاطئ و هو الآخر من جملة أوهامهم التى خالفوا بها الاجماع. و لكن لو استسلمنا بحكم هذه القاعدة فلسوف نجد ان ظاهر الصلاة و الصيام و النطق بالشهادتين يدل هو ايضا على الايمان با لله و التصديق بما جاء به الرسول الكريم. و إذن فما بال هٰؤلاء الوهابيين الذين قرروا ان يكفروا المسلمين بظاهر النداء، و قد عجزوا ان يعترفوا لهم الاسلام بظاهر الصلاة و الصوم و النطق بالشهادتين. فهل هذا ــ ان صح التعبيرــ إلا نوع من الجمود. أو أثر من آثار الجهل الذى هو أشد من الكفر...

و خلاصة الكلام: فان المحظور شرعا فى التوسل هو اعتقاد التأثير من احد غير الله تعالى كائنا من كان و هو شرك اتفاقا سواء كان ذلك الاعتقاد فى نبى او ولى او صالح أو حيوان أوجماد اوفى أى شئ كائن ما كان وأما من لم يعتقد التأثير فى احد غيرالله تعالى فلا إثم عليه و ليس فى مجرد التوسل و الاستغاثة بالأنبياء و الصالحين ضرر مادام الاعتقاد سالما.

اما محبة أولياء الله تعالى والصالحين و صحبتهم لله والتصدر لخدمتهم و التادب لهم والتبرك بهم فكلها جائز لايمنعها الشرع بل يأمر بها و يحث عليها لانها من اعمال البر الموجبة للفوز والسعادة فى الدارين. ولا ينكر ذلك منكر لثبوتها بالأدلة العقلية والنقلية المتواترة. و أصدقها قصة كلب أهل الكهف الوارد ذكرها فى القرآن الكريم... و إن شئت فاقرأ قوله تعالى: (**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً*** **الكهف :٩**)

فإن هذا الكلب لم يصل الى هذه المرتبة إلا بصحبة الصالحين و محبتهم لقد احسن من قال:

«وَ اخْتَرْ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلَّ مُهْتَدِ ... وَ صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ لِلْقَلْبِ دَوآ
اِنَّ الْقَرِينَ بِالْقَرِينِ يَقْتَدِى» ... تَزِيدُ فِى الْمَرْءِ نَشَاطاً وَ قُوَى»

واخيراً نختم هذا الموضوع بتحذير اولٰئك الذين يكفرون المتوسلين و المستغيثين بالأنبياء و الصالحين ان يكفوا عن ذلك لانه قد يفضيهم الى ارتكاب الذنوب و يؤدى الى

تكفيرهم لجميع الامة او اكثرها و هو مستحيل لقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ * آل عمران: ١١٠) الآية من سورة آل عمران و لقوله عليه الصلاة و السلام: (لاَ تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ) حديث شريف اخرجه الترمذى

ما هو الشرك؟ و كم أنواعه؟

الشرك هو الاعتقاد بقلبه ان هناك احدا يستحق العبادة من دون الله تعالى او هناك من يشارك الله فى الالوهية او يساعده فى الايجاد و التأثير.

و من الشرك أيضا الاعتقاد بقلبه ان هناك من يملك لنفسه او لغيره جلب المنافع او دفع المضار أو هناك من يمكن له التصرف فى الامور او التأثير فى الكائنات من تلقاء نفسه.

و مهما اعتقد المرء شيئا من هذه المذكورات فى واحد من المخلوقات، سواء اعتقدها فى نبى او فى ولى او فى شيخ او فى حيوان أو فى جماد كان مشركاً حقا بالاجماع. لأن المخلوقات كلها على اختلاف أشكالها و تنوع اجناسها لا تستحق العبادة مطلقا وهى لاتملك جلب المنافع ولا دفع المضار ولا قدرة لها على التأثير فى حدذاتها فاعتقاد ذلك على أى مخلوق ، آدمى كان او غيره هو الشرك الأكبر و هو الكفر الصريح.

هذا و ليس من المستحيل ولا من الغريب ان يقع بعض الناس غير المعصومين فى اودية الكفر و الضلال بينما ينهمك البعض الثانى فى المعاصى و المنكرات حين يتقيد البعض الآخر بالشريعة الاسلامية و السنة الغرآء.

ولا تستغرب هذه الاتجاهات المختلفة و الظواهر المتضادة بين أفراد المسلمين و جماعاتهم لان الله تعالى قد خلق الناس و هم مختلفون فى الذكاء و الغباوة و الضعف و القوة و متفاوتون فى الجهل و المعرفة و الاجتهاد و التقصير و تبعا لهذا الاختلاف الطبيعى و التفاوت الفطرى فمنهم من يقترب من اللاسلام الى حد مرضى عنه بحيث يأتمر الأ وامر و يجتنب النواهى، و منهم من يبتعد عنه و ينحرف عن جادته المستقيمة حسب حال كل فرد و طبيعته و الى تلك المراتب المتفاوتة اشار القرآن الكريم بقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ

الذينَ اَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فاطر:٣٢) ولكن هذا الأبتعاد لايخرج المسلم المقصر عن دائرة الاسلام مادام يدين بالولاء لهذا الدين الحنيف و ينتسب اليه فاذا صدر من المسلم بعض الاقوال او التصرفات مما يدل ظاهرها على الكفر و هو لم يرد بها تغيير إسلامه ولا ارتداد عن دينه فلا يحكم عليه بالكفر و لابالردة و مهما تورط المسلم فى المآثم و اقترف من جَرائم فهو مسلم، لايجوز اتهامه بالردة او الكفر وقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (مَنْ شَهِدَ أن لآإلٰهَ الاّ اللهُ وَ اسْتقْبَلَ قِبْلَتنَا وَصَلَّى صَلاَتَنَا وَ أكَلَ ذبِيحَتنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَ عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ) و قد حذر رسول الله صلى الله عليه و سلم المسلمين من ان يقذف بعضهم بعضا بالكفر لعظم خطر هذه الجناية و قال فيما رواه مسلم عن ابن عمر: (إذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أخَاهُ فَقَدْ بَاء بِهِ أحَدُ هُمَا)

ولا يعتبر المسلم خارجا عن الاسلام ولا يحكم عليه بالردة الا اذا انشرح صدره بالكفر و اطمأن به قلبه و دخل فيه بالفعل لقوله تعالى: (وَلَكِن مَن شَرَحَ بِلْكُفْرِ صَدراً﴾ النحل :١٠٦) و يقول الرسول عليه السلام: (إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنياتِ وَ إنَّمَا لِكُلّ امْرِئٍ مَانَوَى)

و مذهب أهل السنة و الجماعة التحاشى عن تكفير كل من انتسب للاسلام حتى انهم كانوا يكفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الامر بقتلهم و ذلك دفعا لضررهم لا لكفرهم.

هذا و لما كان ما فى القلب غيبا من الغيوب التى لا يعلمها الا الله تعالى وحده كان ولابد من الكف عن تكفير المسلم حتى يصدر منه ما يدل على كفره دلالة قطعية لاتحتمل التأويل.

و قد نسب الى الامام مالك رضى الله عنه انه قال: من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة و تسعين و جها و يحتمل الايمان من وجه واحد حمل امره الى الايمان.

فالشرك هو الكفر باللفظ و المعنى و بالجملة و التفصيل و مناقض التوحيد المقرر من أصل الاديان السماوية عامة . و من أصل هذا الدين الاسلامى خاصة. بشهادة الله فى كتابه العزيز حيث يقول تعالى: (شَهِدَ اللهُ أنهُ لآ إلٰهَ إلاَّ هُوَ﴾ آل عمران :١٨)

فالمشرك بالله هو الكافر به الجاحد بوحدانيته المكذب بالأنبياء و الرسل و بما جاؤا به

من عند الله من الدين و الشرائع و هو اعظم أنواع الضلالة و اشدها على الله و فيه من الوعيد ماليس فى غيره من جميع المعاصى. لقد صرح القرآن الكريم و نبه فى عدة آيات عن خطورة الشرك و حذر من ارتكابه معلنا بأن الشرك لظلم عظيم. و قال جل من قائل: **(إنَّ اللهَ لَايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذلكَ لِمَنْ يَشَاءُ* النساء : ٤٨)** و قال: **(إنَّه مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوٰيهُ النَّارُ* المائدة :٧٢)** و قال مخاطبا لحبيبه المصطفى: **(وَلَقَدْ أُوحِىَ اِلَيْكَ وَاِلَى الذينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ* الزمر :٦٥)**

و هذه الآيات القرآنية و أمثالها الكثيرة فى كتاب الله العزيز لا تترك مجالا للشك فى أن الشرك لعظيم و عواقبه وخيم.

هذا و ينقسم الشرك الى ستة أنواع. شرك الاستقلال و هو اثبات اِلٰهَيْنِ مستقلين كشرك المجوس. شرك التبعيض و هو تركيب الالٰه من عدة آلهة كشرك النصارى. شرك التقريب و هو عبادة غير الله تعالى ليقرب به الى الله زلفى كشرك مقدمى الجاهلية. شرك التقليد و هو عبادة غير الله تبعا للغير كشرك متأخرى الجاهلية. شرك الاسباب و هو اسناد التأثير للاسباب العادية كشرك الفلاسفة و الطبيعيين و من تبعهم على ذلك. شرك الاعراض و هو العمل لغير الله تعالى كالرياء لقوله عليه الصلاة و السلام: **(اَلرِّيَاءُ هُوَ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ)** «اخرجه احمد»

فحكم الاربعة الاولى الكفر بالاجماع. و حكم السادس المعصية من غير كفر بالاجماع. و حكم الخامس فيه التفصيل:

فمن اعتقد فى الاسباب انها تؤثر بطبعها فهو كافر بالاجماع و من اعتقد انها تؤثر بقوة اودعها الله فيها ، و انها اسباب عادية فقط. و قد تتخلف عن مسبباتها فى بعض الاحيان، و المؤثر فى الاشياء حقيقة هو الله تعالى وحده فهو مسلم بالاجماع.

و على هذا فان الشرك فى الدين الاسلامى ضربان: أحدهما الشرك الجلى، و هو الاشراك فى العبودية، و ذلك اعظم كفر و نعوذ بالله منه. و الثانى: الشرك الخفى و هو مراعاة غير الله معه فى بعض الامور كأعمال المرائين و قد ورد فى الحديث النبوى: **(الشِّرْكُ فِى هَذِهِ الأُمَّةِ أَخْفَى مِن دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَاءِ)** و يعنى بذلك «الرياء» لقوله عليه

السلام فى حديث آخر: (اَلرِّيَاء هُوَ الشِّرْكُ الْاَصْغَرُ) رواه أحمد

فهذا الشرك المذكور الحاصل بالرياء لايخرج المسلم عن دائرة الاسلام، و انما يحبط الاعمال فقط كما وقع عليه الاجماع. و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرَ اللهِ فَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ)

و اما الكفر فهو ايضا على اربعة اقسام: كفر الانكار، و ذلك بان لايعرف الله اصلا ولا يعترف به و كفر الجحود، و كفر المعاندة، و كفر النفاق، فمن لقى ربه بواحدة من هذه لم يغفرله. و يغفر الله ما دون ذلك لمن يشاء.

فأما كفر الانكار، فهو ان يكفر بقلبه و لسانه ولا يعرف ما يذكرله من التوحيد و العبادات.

و اما كفر الجحود فهو ان يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس و جنوده من شياطين الانس و الجن.

و اما كفر المعاندة فهو ان يعرف الله بقلبه و يقر بلسانه ولا يدين به ككفر ابى جهل و اضرابه.

و اما كفر النفاق فهو الاقرار باللسان و عدم الاعتقاد فى القلب كالمنافقين الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم و من تبعهم فى ذلك الى يوم القيامة.

و الكفر ــ على وجه التحديد ــ انما يكون بانكار الضرر ريات من الدين الاسلامى، كانكار و جود البارى و وحدانيته، و انكار رسالة محمد صلى الله عليه و سلم، او رسالة واحد من الرسل عليهم الصلاة و السلام او بانكار الفرائض كوجوب الصلاة او بانكار واحدة من القواعد الاسلامية الخمسة التى بنى عليها الاسلام.

الوهابية و إنكارها للبدع مطلقا

يغتنم الوهابيون كل فرصة ممكنة للهجوم على المسلمين و التوجيه اليهم انتقادات حادة و خارجة عن الموضوع و يحاربونهم بشتى الطرق و الوسائل.

فمن ذلك القاؤهم على المسلمين شبهات للتلبيس عليهم دينهم و تشويش عقائدهم و يحاولون احباط اعمالهم و بطردهم عن حظيرة الاسلام و إبعادهم عن حدود السنة. و هاهم ايضا ينكرون على البدع كلها دون مراعاة ما يجوز انكاره منها و ما لا يجوز انكاره و يحتجون بالحديث القائل: **(كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَ كُلُّ ضَلاَلَةٍ فِى النَّارِ)** رواه ابو داود و قد ساقهم ظاهر هذا القول الى تكفير جماعة من المسلمين و ذم كثير من الابرياء و لو انهم فهموا معنى الحديث لعلموا أن الأمر ليس كما يظنون.

فالكل فى اللغة العربية يأتى بمعنى البعض و البعض يأتى هو أيضا بمعنى الكل. فتأمل فقوله صلى الله عليه و سلم كل بدعة ضلالة من العام المخصوص.

و البدعة كما ذكرها العلماء و الفقهاء تنقسم الى خمسة اقسام: واجبة، و مندوبة، و مباحة، و مكروهة، و حرام. و كلها مفصلة فى الكتب المطولات. فمن لم يقدر على تمييزها كلها فحقه السكوت و الا خيف عليه ان يحلل الحرام او يحرم الحلال و كلاهما ممنوع شرعا و فى الحديث: **(مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وِوِزْرُ من عَمِلَ بِهَا اِلَى يَوْم الْقِيَامَةِ)** رواه مسلم و النسائى

و هذا الحديث اقوى دليل على ان البدعة اذا كانت حسنة فهى داخلة فى عموم الشريعة المحمدية، و انكارها هو البدعة المحرمة و الدليل عليه فى القرآن الكريم قوله تعالى: **(اِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ* يس :١٢)**

و إذا تأملت الحديث المذكور علمت يقينا بأنه صلى الله عليه و سلم قد اجازلنا ابتداع ما هو حسن و سماه سنة و جعل فيه الأجر للذى ابتدعه أولا، و لمن عمل به، الى يوم القيامة ثانيا ولا يسمى شئ بدعة حتى يخالف صريح الكتاب و السنة فمتى و افقهما فهو سنة حسنة يكون لمبتدعه أجره و أجر من عمل به، الى يوم القيامة.

قد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى صلاة التراو يح. «نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ»

هذا ولابد من التمييز بين البدعة المستحسنة و البدعة المستقبحة و الاعتراف بواقعية كل منهما و إلا فلامحال للانكار..

و معلوم ان العلماء قد اشترطوا لجواز النهى عن المنكر شرطين: الأول معرفة المنكر و الثانى أن لايؤدى نهيه الى ارتكاب ما هو أعظم منه

و أكثر الوهابيين فيما يمكرونها اليوم، من البدع و المكروهات يرتكبون اعظم منها لأنهم بأنكار هذه البدع يكفّرون المسلمين الموحدين الذين هم فى واد و الكفر فى واد ـ لاجرم ـ ان تكفير المسلم الموحد أكبر و اخطر من ارتكاب بعض البدع و المكروهات.

و أعجب شئ منهم هو انهم يتأثرون للبدع و المكروهات و ينكرون عليها بشدة، أكثر مما ينكرون على المحرمات كالكذب و الغيبة و السخرية و نحوها من الكبائر. و قلما يوجد منهم من يتأثر لهذه الكبائر الغاشية تأثيره للبدع و المكروهات و شأنهم هذا شأن من يبنى قصرا و يهدم مصرا. و كان عليهم ان يقدموا الأهمّ فالأهمّ..

ولا يخفى ان القاعدة الاسلامية تقتضى ان لايقول أحد قولا ولا يفعل فعلا حتى يعلم حكم الله فيه، و إلا فهو على خطر يخشى منه تحريم الحلال او تحليل الحرام.. ولا يعتنى بهذا اننا نجوز البدع كلها او نسعى الى تشجيع البدعيين و المخالفين، بل بالعكس! فنحن ضد البدع المخالفة للكتاب و السنة و ضد الاوهام و الخرافات الباطلة ايا كان مصدرها نسعى الى قمعها و القضاء عليها بكل ما اوتينا من حول و قوة. و لكننا فى نفس الوقت نعترف بان هناك بدعا لا بأس بها اذا كانت هذه البدع تعين على أداء الواجبات او المسنونات لان كل ما يتوصل به الى الواجب واجب. و ما يتوصل به الى السنة مندوب.

و نؤمن كذلك بان البدع ـ كما ذكرها الفقهاء ـ تنقسم الى خمسة اقسام واجبة، و مندو بة، و مباحة، و مكروهة، و حرام. لكل واحدة منها حكمها و منزلتها.

و لذلك نرى وجوب التمييز بين البدعة الحسنة و البدعة القبيحة لنسمى الأولى سنة كما فى الحديث: **(مَن سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أجْرُهَا وَ أجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** ونسمى الأخرى بدعة كما فى حديث آخر: **(كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَ كُلُّ ضَلاَلَةٍ فِى النَّارِ)**

ولا ينبغى ان نحكم على البدع كلها من خلال ظاهر الحديث القائل كل بدعة ضلالة. لعلمنا بان هناك اشياء نستعملها اليوم فى شئوننا الدينية و الادارية تمشّياً مع تطور العصر الحديث مع أن تلك الاشياء لم تكن موجودة ولا هى مستعملة فى حياة الرسول ولا فى زمن الصحابة و إنما ابتدعت من بعدهم رضوان الله تعالى عليهم.

و إذا صح القول بأن كل مالم يفعله الرسول صلى الله عليه و سلم فهوبدعة موجبة للدخول فى النّار. فكيف بنا و نحن نتوجه كل سَنَةٍ الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عن طريق الجوّ او عن طريق البواخر و السيارت؟ مع العلم بأنه صلى الله عليه و سلم لم يدخل مكة قط بواسطة هذه المخترعات الحديثة و نعلم ان مسجده صلى الله عليه و سلم لم يكن مجهزاً بمكبرات الصوت ولا المراوح الكهربائية كما هى الحال فى مساجدنا اليوم و لم يبلغنا قط انه صلى الله عليه و سلم صام أو أفطر بإخبار الاذاعات أو البرقيات كما نصوم الآن و نفطر بها.

و اذا كانت عباداتنا هذه كلها باطلة لاعتمادها على أشياء محدثة لم يفعلها الرسول و لم يباشر بها فى حياته، فمن ينجو منا؟ و متى يمكننا تصديق قوله صلى الله عليه و سلم: **(لاَ تَجْتَمِعُ أمتِى عَلَى ضَلاَلَةٍ)** حديث شريف اخرجه الترمذى

وقد قسم ابن عبدالسلام [١] الحوادث الى الاحكام الخمسة فقال: البدعة فعل مالم يعهد فى عصر رسول الله صلى الله عليه و سلم فمنها واجبة كتعلم النحو و غريب الكتاب و السنة و نحوهما مما يتوقف فهم الشريعة عليه. و منها محرمة كمذهب القدرية و الجبرية و المجسمة. و منها مندوبة كاحداث الروابط و المدارس و المستشفيات و بناء القناطر و كل إحسان لم يعهد فى العصر الاول. و منها مكروهة كزخرفة المساجد و تزويق المصاحف. و منها مباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح و العصر و التوسع فى المأكل و المشرب و الملبس و غير ذالك.

و من البدع المستحسنة أيضا الكتب و التصانيف فهى محدثة لم يكن شئ منها فى زمن الصحابة و انما حدثت بعد سنة مائة و عشرين من الهجرة بعد وفاة جميع الصحابة و جملة التابعين رضى الله عنهم اجمعين.

---

(١) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

بيان فى احكام الطرق و الأوراد الصوفية

هذا و من الجدير بالذكر ان من الوهابيين من ينكرون الطرق و الاذكار الصوفية كالتجانية و القادرية و الشاذلية و نحوها و يرفضونها رفضا بتا و يرونها من البدع القبيحة و يقولون بأنها لم تكن فى زمن الرسول و لم يفعلها الصحابة ولا التابعون و يحملون الناس على تركها بكل مالديهم من حول و قوة. و يستدلون ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاسْلاَمَ دِيناً* المائدة :٣) و كقوله: (وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ* الانعام :١٥٣)

و يزعمون بإن هذه الاوراد هى السبل المعنية فى نص الآية.

و جوابنا على هذه الأدلة بأنها بعيدة عن الحق بعد المشرق من المغرب فهذه الآيات وما شاكلها لاعلاقة لها بنفى الورد أصلا و قد أخطأ فهمهم هنا خطأ فاحشا و ناهيك عما فيه من تحريف القرآن الكريم و افتراء الكذب على الله تعالى. فتفسير هذه الآيات و معانيها معروفة بتقرير الفقهاء و المفسرين و من اراد الوقوف على حقيقتها فليطالع كتب التفسير.

اما الطرق الصوفية ـ كما يمكن ان نعرفها ـ إنما هى جمعيات دينية شكلت للتعاون على ذكر الله و الصلاة على نبيه بشروط و أنظمة معينة تتفق مع مبادئ الاسلام و أهدافه. و اركانها ثلاثة و هى الاستغفار، و الهيللة، و الصلاة على النبى.

و الهدف من تشكيل هذه الجمعيات الدينية ـ فى نظر السادة الصوفية ـ هو مجرد التقرب الى الله تعالى بالاذكار التى أمر الله عباده بذكرها بعد اداء فرائضهم قال الله عز و جل: (فَاِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ* النساء:١٠٣) و امتثال أمره تعالى بقوله: (فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِى وَلاَ تَكْفُرُونِ* البقرة:١٥٢) و قوله: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى* المائدة:٢)

و قد رأوا أن التعاون على ذكر الله و الصلاة على نبيه أفضل و أهم من جميع انواع

التعاون لقوله تعالى: (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ* العنكبوت :٤٥)

هذا و من المعلوم بالضرورة ان هذه الاذكار التى ينكرونها مأخوذة كلها من الكتاب و السنة و هى دائرة بين الاستغفار، و الهيللة و الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم.

واما الاستغفار فقد ورد ذكره فى القرآن الكريم بصيغة الأمر فى عدة مواضع، منها قوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً* النصر:٣)، (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ* هود:٣)

واما الأحاديث الواردة فى الاستغفار فكثيرة لايمكن حصرها فمنها قوله عليه الصلاة و السلام: (يا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا اِلَى اللهِ جَمِيعاً وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنِّى أَتُوبُ فِى الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) رواه مسلم. و قال عليه السلام: (مَا مِنْ عَبْدٍ وَلاَ أَمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللهَ فِى الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ سَبْعَمِائَةِ ذَنبٍ وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ عَمِلَ فِى يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةِ ذَنبٍ) رواه البيهقى

اما الصلاة على النبى فقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ وَمَلٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً* الاحزاب:٥٦) و فى الحديث: (مَن صَلى عليَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْراً وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْراً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ مِائَةً وَمَن صَلى عَلَيَّ مَائَةً كَتَبَ اللهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بَرَاءةً مِن النَّارِ وَأَسْكَنَهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاء) رواه مسلم

اما الهيللة ـــ لاإلـه الا الله ـــ فقد قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَإِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ* محمد :١٩) و قال عليه السلام: (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَإِلَهَ إِلاَّ اللهُ) رواه ابن ماجه و النسائى. و قال أيضا: (أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِن قَبْلِى لاَإِلَهَ إِلاَّ اللهُ) رواه مالك بن انس عن طلحة

فمن هذه الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة استخرجت الأذكار المذكورة و اتخذها السادة الصوفية طرقا لهم بهدف التقرب الى الله و الوصول اليه لاغير فمن زعم ان لهم غرضا غير ذلك او هدفا دون هذا فقد افترى و قد تبين انها مأخوذة كلها من القرآن الكريم و الأحاديث الشريفة فلاينكر عليها الاّ الجاهل الأحمق أو السفيه المطلق.

وقد بشر الله الذاكرين بقوله تعالى: (**وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذاكِرَاتِ أعَدَّالله لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأجْراً عَظِيماً*** الاحزاب: ٣٥) وقال ايضا: (**وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ*** **الجمعة ١٠**) فلا يضرنا اذاً انكار المنكر بما هو موافق للكتاب و السنة.

هذا و قد ورد فى كتاب «ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى» لمؤلفه الحاج سعد بن عمر بعد ان اورد جملة من الآيات و الاحاديث الدالة على وجوب الذكر و الحث عليه قال سيادته: فمما تقدم من النصوص الصريحة نعلم و نتحقق بأن الاستغفار و الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم و الشهادة ان لاإلٰه الا الله اذكار حث عليها الكتاب و السنة و رغبا فى ذكرها و وعد الله عليهما و رسوله الثواب الجزيل و غفران الذنوب و الدخول فى الجنان و ان الرسول عليه السلام و اصحابه الكرام داوموا على ذكرها مدى حياتهم.

فبناء على هذا نصرح بكل وضوح ان الورد التجانى الذى ليس إلا كواحدٍ من هذه الأذكار الجليلة لايكون بوجه من الوجوه حراما أو بدعة قبيحة كما لايصح القول بأن الشيخ احمد التجانى رضى الله عنه اخترعه من عند نفسه بل هى أذكار قرآنية محضة لاغبار فيها.

فان قال قائل بأن الورد المذكور ليس من الدين لان الدين قد تم قبله لقوله تعالى: (**اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِيناً*** **المائدة: ٣**) و لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: (**تَرَكْتُ فيكُمْ أمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَاتَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ**) رواه مالك رحمه الله نقول و أى دين تم قبل لااله الاّ الله و قبل الاستغفار و قبل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم و معلوم ان هذه الألفاظ الثلاثة هى اركان الورد التجانى و عليها مداره فان كان القائل يعنى بتمام الدين الاسلامى نقول فان الله تعالى جعل لاإلٰه الاّ الله مفتاحه و الاستغفار مذهب ذنوب أهله و الصلاة على النبى معرفة جميل نبيه و قد نطق بها الكتاب و السنة و عمل بها الرسول عليه السلام و أصحابه الكرام و الصالحون من امته و سيعمل بها المسلمون الى يوم القيامة سواء كانوا تجانيين او غير تجانيين فلا نجاة لاحدممن يتدين بالدين الاسلامى دونها».

هذا و للطرق الصوفية دوْر هام فى تحقيق الدعوة الاسلامية و أثر بارز فى التأليف بين قلوب المسلمين و جمع كلمتهم و حملهم على التمسك بالكتاب والسنة، و تعمير بيوت

آذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه بالصلاة و التسبيح و التهليل بالغدو و الآصال.

و تعتبر الطريقة التجانية بيت القصيدة فى نظم هذه الطرق الصوفية و قد اخطأ من انكر على هذه الطرق الدينية و زعم انها بدعة مخالفة للكتاب و السنة او اتهم زعماءها و اعترض عليهم.

هذا ولاينكر أحد بان الاسلام ماانتشر هنا فى افريقيا السوداء الآ بفضل جهود شيوخ الطرق من امثال الحاج عمر الفوتى. و الشيخ احمد أمير حمد الله و الشيخ محمد عبد الله سعاد. و الشيخ عثمان فودى و العلامة الشيخ محمد بابه و السيد الحاج مالك سِهْ و غيرهم رضى الله عنهم

و قد قال الشيخ احمد التجانى رضى الله عنه: «و شرط هذا الورد المحافظة على الصلوات الخمس فى الجماعات و الامور الشرعية.و إياكم و لباس حلة الأمن من مكر الله فإنه عين الهلاك و ترك المقاطعة مع جميع الخلق و آكد ذلك بينكم و بين الاخوان فى الطريقة.»

و هذا دليل آخر على مدى اهتمام الطريقة التجانيه بالصلاة التى هى عماد الدين، و انها تحث على مواصلة الارحام و عدم الأمن من مكر الله و مع ذلك فأورادها لم تزاحم الفرائض ولا السنن فى اوقاتها بل هى مؤقتة فى اوقات ندب فيها الذكر خاصة و هى من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس و بعد صلاة العصر الى الغروب.

و أما ماورد فى كتب الطريقة من فضائل الذكر، و ان من أخذ الورد التجانى و داوم عليه الى الممات أنه يدخل الجنة بغير حساب و لاعقاب هو و والده و ازواجه و ذريته ان سلم الجميع من الانتقاد. فهذه الوعود كلها داخلة تحت وعد الله و رسوله، و هى صادقة ان شاء الله تعالى.

و وجه ذلك قد سبق ان علمت بأن الورد التجانى ما هو الآ الاستغفار، و الهيللة و الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم. فالآيات القرآنية و الاحاديث النبوية تصرح فى اكثر من موضع فضل الذكر بهذه الصيغ و ما وعده الله للذاكرين بها قال الله تعالى: (وَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً* احزاب ٣٥) و قال: (وَ اذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* الجمعة : ١٠) و فى الحديث: (مَا مِن قَوْمٍ اِجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ

اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَيُرِيدُون بِذَلِكَ إلاَّ وَجْهَهُ إلاَّ نَادَى مُنَادٍ مِن السَّمَاءِ أن قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ) رواه احمد. فهذه وعود صريحة بالمغفرة و دخول فى الجنة و عدها الله للذاكرين و هو تعالى صادق الوعد ولا يخلف الميعاد.

و أما مايخص والديهم و أزواجهم و ذرياتهم فقد قال تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ* رعد :٢٣) و فى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فى دَرَجَتِهِ فى الْجَنَّةِ وَإن كَانَ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ لِتقرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ) ثم قرأ: (وَ الذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإيمَانٍ ألْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا ألَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِم مِن شَيْءٍ)

فمن تأمل هذه الآيات و الاحاديث النبوية تحقق بأن وعد الشيخ رضى الله عنه للذين حافظوا على الأوراد بشروطها تابع لوعد الله تعالى فى القرآن و على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم و غير خارج عن حدود الشريعة المطهرة فلا لوم على الذين تعلقوا بهذه الوعود الصادقة متكلين على الله تعالى القائل فى كتابه، العزيز: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الذِينَ أسْرَفُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذنُوبَ جَمِيعاً إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* الزمر :٥٣)

و أما مايقوله او يفعله بعض الجهال المنتسبين الى الطريقة التجانية مما يخالف الشريعة الاسلامية فان الشيخ رضى الله عنه ليس مسؤولا عنهم و طريقته بريئة منهم كما ان الرسول عليه الصلاة و السلام ليس بمسؤول عن اعمال جهلة المسلمين من امته و الدين الاسلامى هو أيضا برئ مما يفعله بعض المسلمين المنحرفين . و ليس لأحد حجة على الشيخ بعد قوله رضى الله عنه: «و إذا أمرتكم بأمر زنوه بميزان الشرع فان وافق فاعملوا به و ان خالف فاتركوه».

فعبارات الشيخ هذه تطابق تماماً مع ما قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حينما بويع بالخلافة و قال بعد ان حمد الله و أثنى عليه: « أيها الناس أطيعونى ما اطعت الله و ان عصيته فلا طاعة لى عليكم يغفر الله لنا و لكم ». هـ.

الوهابية و نفيها بتقليد أئمة المذاهب

ينتهج الوهابيون المتطرفون فى هذه المسألة نهجاً خارقا للاجماع و معارضا لأقوال العلماء و آرآء الفقهاء. و ذلك انهم ينكرون أئمة المذاهب و كتبهم الفقهية و ينفون التقليد بهم و التقيد بمذاهبهم زاعمين ان لهم الحق فى استنباط الاحكام و المسائل من القرآن و الحديث مباشرة دون التقيد بمذهب من المذاهب أو التقليد بامام من أئمة الدين.

و هذا ــ فى الواقع ــ تلبيس عظيم غروا به العوام من الجهال و صغار الطلبة حتى اوقعوهم من حيث لايخرجون. و قد يكون دافعهم الوحيد الى هذا التلبيس هو محاولة تعطيل هذه المذاهب الاربعة و القضاء عليها ليفسحوا المجال امامهم كى يتسنى لهم تحقيق اغراضهم الشخصية المتمثلة فى حب الظهور و عدم اعتراف الغير. كما يحاولون من خلال توجيهاتهم السخيفة الى تضليل العوام عن دور هذه المذاهب و تصريفهم عن تعلم الفقه و الاهتمام به كوسيلة لمعرفة شرائع الاسلام و احكام العبادات بينما لايمكن تعطيل هذه المذاهب ولا الاستغناء عنها لانها قد وضعت خصيصاً لتفصيل و تبيين ماجاء فى القرآن الكريم و الحديث النبوى مجملا من احكام العبادات و المعاملات. بل ولا يصح الاسلام بالنسبة لنا ــ نحن الخلق ــ الاّ بتقليد أئمة المذاهب رضوان الله عليهم. و ليس بالاجتهاد الفوضوى كما يزعمه بعض الجهلة ولا يخفى ان العلماء متفقون على ان الخارج عن المذاهب الاربعة ضال مضل وربما اداه ذلك الى الكفر لان الأخذ بظواهر الكتاب و السنة من اصول الكفر ولان كثيرا من القرآن و الأحاديث ماظاهره صريح الكفر، **(وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ اِلاَّ اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فى الْعِلمِ ...* آل عمران :٧)**

ولا ينبغى إتهام الأئمة الأربعة فى ترك السنة و هم أرباب العلم و الورع و الكشف و الانصاف و أحرص الناس على اتباع سنة رسول الله و قد بنى الامام مالك رضى الله عنه مذهبه على اربعة اشياء: آية قرآنية، و حديث صحيح، و اجماع أهل المدينة، و اتفاق جهورهم.

و قد اجمع أهل السنة على وجوب التقليد على من ليس فيه أهلية الاجتهاد و قد

شاع ذلك حتى صار معلوما من الدين بالضرورة.

و معلوم عند كل احد ان رتبة الاجتهاد قد انقطعت منذ أزمان و أنه ليس فى أبناء هـذا الزمان أحد من الذين بلغوا درجة الاجتهاد، و من توهم ذلك فقد غره هواه، و لعب به الشيطان.

لذلك كان من حقنا ــ نحن الخلق ــ ان نقلد هؤلاء الأئمة بدلا من الاجتهاد الذى لم يصل اليه افهامنا فالاجتهاد له شروط و بدونها يكون تلاعب بالدين و سخرية بشريعة الرسول صلى الله عليه و سلم اعاذنا الله من ذلك و قد قال ابن القيم [١] فى كتاب «اعلام الموقعين» لايجوز لأحد ان يأخذ من الكتاب و السنة مالم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم. فمن هذه الشروط ان يكون فقيها عالما بكتاب الله حافظا له عارفا باختلاف قراءته، و اختلاف قرائه بصيرا بتفسيره خبيرا بمحكمه و متشابهه و ناسخه و منسوخه و قصصه. و منها ان يكون عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم مميزاً بين صحيح أحاديثه و سقيمها. و منها ان يكون ورعا، دينا، صائنا لنفسه، صدوقا؛ ثقة يبنى مذهبه على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، فمن فاتته واحدة من هذه الخصال كان ناقصا فلا يجوز له ان يكون مجتهدا يقلدبه الناس.

و سأل رجل احمد بن حنبل [٢] إذا حفظ الرجل مائة الف حديث هل يكون فقيها قال لا قال فمائتى الف حديث قال لا قال فثلا ثمائة الف حديث قال لا قال فأربعمائة الف حديث قال نعم و يقال ان احمد بن حنبل اجاب عن ستمائة الف حديث.

هـذا ولايجهل احد منا ان العلماء فى كل زمان و مكان كالنووى و السيوطى و أحمد بن تيمية وابن القيم و الفخر الرازى و طنطاوى و الغزالى و ابن القاسم و خليل بن اسحاق و غيرهم كانوا جميعا على تقليد بالأئمة مع ان كل واحد منهم له اليد الطولى فى كل فن من الفنون و لكن لما علموا انهم لم يصلوا الى رتبة الاجتهاد و قفوا عند حدهم و كانوا من جملة المتقلدين. «و رحم الله امرءاً عرف قدره و لم يتعد طوره.»

---

(١) ابو عبد الله محمد بن ابو بكر تلميذ ابن تيمية المتوفى ٧٥١ ها

(٢) احمد بن محمد بن ابو عبد الله المتوفى ٢٤١

هذا و من الغريب جداً ان يكون باب الاجتهاد مفتوحا امام الجميع يتسارع اليه الفقيه و السفيه و يتزاحم لديه العالم المتبحر و الجاهل المتكبر. يتقيد هذا بعلمه و يتخبط ذاك بجهله كلا! إنها محض دعوى أريد بها تضليل العوام و تلبيس الحقآئق بالاحلام ليس غير.

فالاجتهاد فى نظر المحققين رتبة فى غاية السمو و الارتفاع و من المستحيل ان تحاول الوصول اليه عصبة من المتخلفين الذين كان الجدال ــ ولايزال ــ هو مبلغهم من العلم و منتهى حظهم فى الفهم و قد سولت لهم أنفسهم ان يجوزوا لأنفسهم و لغيرهم الاستنباط من القرآن و الاخذ بظاهر الآيات و الاحاديث علما منهم بأن ذلك أقرب وسيلة و أنجح حيلة لصيد عقول الجهال و نيل الشهرة و الرياسة لدى الاميين الذين لا يميزون بين السقيم و المستقيم لانهم يقولون: نحن نقول قال الله أو قال رسول الله و غيرنا يقول قال مالك و قال شيخ فلانى.

و من هنا انكروا التقليد بأئمة المذاهب و بالغوا فى نقدهم و الاعتراض عليهم و تراهم يتساءلون فيما بينهم كيف نترك الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و نقلد بالأئمة فى اجتهادهم المحتمل للخطإ؟ و كيف نترك قول الله و رسوله و نأخذ بقول مالك او بقول شافعى او بقول فلان و فلان؟ و قد اجابهم بعض المحققين فى تلك التساؤلات بقوله [١] ان تقليد الائمة فى اجتهادهم ليس تركاً للآيات و الاحاديث كما يزعمون بل هو عين التمسك و الاخذ بهما فان القرآن الكريم ما وصل الينا الآ بواسطتهم مع كونهم اعلم منا بناسخه و منسوخه و مطلقه و مقيده و مجمله و مبينه و متشابهه و محكمه و اسباب نزوله و معانيه و تأو يلاته و لغاته و سائر علومه و تلقيهم ذلك عن التابعين المتلقين عن الصحابة الذين تلقوا مباشرة عن الشارع الأمين صلوات الله و سلامه عليه المعصوم من الخطإ و الهفوات.

و كذلك الاحاديث ما وصلت الينا الآ بواسطتهم مع كونهم أعلم ممن بعدهم بصحيحها و حسنها و ضعيفها و مرفوعها و مرسلها و متواترها و آحادها و معضلها و غريبها و تأو يلها و تاريخ المتقدم و المتأخر والناسخ و المنسوخ و أسبابها و لغاتها و سائر علومها مع

---

(١) و هو العلامة الشيخ محمد احمد عليش فى كتابه فتح العلى المالك صفحة ١٠٠

تمام ضبطهم و تحريرهم لها و كمال إدراكهم و قوة ديانتهم و اعتنائهم و تفرعهم و نور بصائرهم».

و خلاصة القول فإن مدعى الاجتهاد من ابناء هذا العصر، المنكرين لتقليد ائمة المذاهب قد لايريدون من وراء هذه الدعوى إلاّ حب الظهور و قصد الشهرة بمقتضى قاعدة: «خَالِفْ تُعْرَفْ». او يريدون بها تفريقا وحدة المسلمين و إثارة الشكوك و الخلافات بين صفوفهم سعيا وراء مصالحهم الشخصية. و إلاّ فَهُمْ أعلم بأنفسهم قبل غيرهم بأنهم ليسوا من ذوى المكانة المعتبرة فى العلوم، ولا أهلية لهم بالفتوى فضلا عن الاجتهاد الذى يقف دونه أكابر العلماء.

مسألة القبض و السدل

أمّا القبض فهو الشعار الرسمى لوهابيى بلادنا وقانونهم المطبق بل هو الركن المؤكد و شرطهم الاساسى لصحة الصلاة. و قد يبطلون صلاة من ترك القبض و أسدل يديه ولايأتمون به و يحكمون عليه بالكفر و الفسوق تارة، و بالشرك و النفاق تارة اخرى.

فهذا الحكم الفاسد اما لجهلهم بفقه الصلاة و إما لانكارهم على الامام مالك رضى الله عنه الذى كره القبض فى الفرائض ولا حجة لبعضهم فى تأكيد هذا القبض و اختياره على السدل سوى انهم ذهبوا الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج و وجدوا أهل مكة يقبضون أيديهم فى الصلاة.

و نحن نجيب لأولئك البعض بان الحج إنما هومؤتمر اسلامى كبير يشترك فيه آلاف من المسلمين القادمين من بلاد مختلفة و من اماكن شتى فبعضهم على مذهب الحنفى و البعض الآخر على مذهب الحنبلى و قد يكون بعض هذه المذاهب يفضل القبض و يأمر به خلافاً لمذهب الامام مالك رضى الله عنه.

ولاينبغى لمالكى ان يترك مذهبه و يقلد غيره على هذه الصورة خصوصا إذا كان قبضه يؤدى الى سوء التفاهم و اختلاف الآراء فيما بينه و بين قومه فصون الوحدة الاسلامية و السعى لتقارب وجهات النظر بين المسلمين فى شئونهم الدينية و الدنيوية

أولى، و أجدر من التمسك و التشديد فى مسائل و قد رخص فيها و مع ذلك فلسنا نحن مأمورين بأتباع أهل مكة فى سائر الأقوال و الأفعال وانما أمرنا باتباع النبى صلى الله عليه و سلم قال الله تعالى: (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** الاحزاب : ٢١) ولم يقل كان لكم فى اهل مكة آية اسوة فأهل مكة كغيرهم من سائر المسلمين مأمورون هم ايضا باقتداء النبى صلى الله عليه و سلم. لاان يقتدى بهم و حدهم

فمسألة القبض و السدل اذن ليست بمسألة مكيين أو مدنيين حتى نحتاج الى التقيد بما هنالك. و لكنها مسألة مرئية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم كباقى المسائل الفقهية.

و قد ثبتت فى الآثار الصحيحة مشروعية كل من القبض و السدل و انهما من فعل المعصوم صلى الله عليه و سلم ولا يتصور ان يكون الامام مالك رضى الله عنه قد اختار السدل من تلقاء نفسه، او أمر به بمجرد هواه و حاشاه ان يفعله او يأمر به دون ان تكون له اسانيد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ذلك، ولا يليق بنا ان ننكر عليه او نعارضه فى أية مسألة من المسائل الفقهية لا فى السدل ولا فى غيره لانه اعلم منا بصلاة رسول الله و أفقهنا بحكم القبض و السدل و هو رضى الله عنه امام فقهاء عصره و قدوتهم على الاطلاق و مذهبه عمرى على المشهور. و حسبه فخرا كونه إماما لدار الهجرة و عالم المدينة المنورة على التحقيق و قد قال النبى صلى الله عليه و سلم فى حقه: (**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ عَالِمُ الْمَدِينَةِ**) و قال ايضا: (**يَخْرُجُ النَّاسُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ فى طَلَبِ الْعِلْمِ فَلاَ يَجِدُوا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ.**)

و سئل ابو حنيفة عن مالك فقال: «ما رأيت اعلم منه بسنة رسول الله منه» و مناقب الامام مالك رضى الله عنه اظهر من شمس الضحى و اكثر من أن تعدّ او تحصى.

هذا و من الواضح جدا ان منكرى السدل الطاعنين به غير مقيدين بقوانين الفقه و الحديث. و ليسوا بمتفقهين بالمعنى الصحيح لقد ثبت السدل عن كثير من الصحابة كأبى بكر الصديق و على ابن ابى طالب و أبى هريرة و سعد بن سهل و معاذ بن جبل و عبد الله ابن الزبير و أبى حميد الساعدى و غيرهم رضى الله عنهم أجمعين. فالطعن على المسدلين طعن لجميع هٰؤلاء الصحابة و العياذ بالله من ذلك. و معلوم ان اصحاب رسول الله كالنجوم بأيّهم اقتدينا اهتدينا.

و انا لنعتقد ان الطاعنين على السدل معذورون من حيث قلة الفهم و ضعف الادراك فهم ــ على ما يبدو ــ كأدوات مسخرة لافكار بعض المتطرفين الذين يزعمون ان السدل بدعة قبيحة وان الشارع صلى الله عليه و سلم لم يفعله قط ولم يأمر به و ذلك ما صرح به الاخ محمد المرزوق ابن عبد المؤمن الفلاتى فى كتابه: «القبض و الارسال فى الصلاة» و قد ذكر هذا الرجل فى كتيبه المذكور أن مسدلى الأ يدى فى الصلاة بدعيون ملعونون و مستحقون الخلود فى النار و قال ايضا ان صلواتهم باطلة وعباداتهم عاطلة و جميع اعمالهم مردودة من أجل هذا السدل لقول النبى صلى الله عليه و سلم: **(مَنْ أَحْدَثَ فى أَمْرِنَا هَذَا مَالَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)** من حديث عائشة ولم يترك هذا المؤلف المفتون رطبا ولا يابسا من الكلمات القبيحة و العبارات الشنيعة الاّ و اطلقها على الائمة الكرام و العلماء الأعلام الآخذين السدل من صفة صلاة الرسول عليه السلام. و من جريان العمل به من طرف بعض الصحابة و التابعين و باتفاق جمهور العلماء على مر القرون و العصور.

هذا و من المؤسف جدا ان هذا الكتيّب رغم مافيه من الفحشاء و المنكر و الكلام القبيح قد نال قبولاً حاراً و اهتماما بالغا لدى بعض الوهابيين الذين زادوا به حقدا على المسلمين و تفريقا بين صفوف المصلين فصار القابض منهم يمتنع ان يصلى خلف السادل عملا بما ورد فى هذا الكتيّب. و تعطلت من اجل ذلك المساجد و الزوايا و شرعوا بحكم لم يأذن به الله و لم ينزل به سلطانا. و يتابع الفلاتى فى صفحات كتيبه قائلا: «فانا لم نجد للسدل حديثا صحيحا ولا حسنا ولا ضعيفا حتى نعتمد عليه»

نعم قد لايجد الفلاتى الحديث عن السدل ــ كما ذكر ــ لانه لم يكن متعمقا فى علم الحديث مثلما تعمق فى علم السب و اللعن و الشتائم و الاستاذ الفلاتى ــ كما يبدو لنا فى اسلوب لعناته و عباراته فى الطعن و التشنيع ــ يبدو و كأنه تخرج من «كُلِّيَةِ الْبَذَاءةِ» و قد حاز فيها على شهادته العليا «فى الْوَقَاحَةِ وَ الْجَرآءة» لذلك لايمكن له أن يكتب اويتكلم الا بما يناسب ثقافته المشؤمة.

اما كون السدل من فعل المعصوم صلى الله عليه و سلم فيشهد عليه حديث مسيئ الصلاة الذى أخرجه البخارى و مسلم و النسائى و غيرهم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

و خلاصته «أن رجلا دخل المسجد و صلى بحضور الرسول عليه السلام ثم جاء

فسلّم عليه فقال **(وعليك السلام ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ)** فصلّى ثم جاء.فسلّم فقال **(وعليك السلام ارجع فصلّ فإنَّك لم تصل)** فصلى ثمّ جاء فسلّم فقال **(وعليك السلام ارجع فصلّ فإنّك لم تصل)** فقال فى الثانية او فى الثالثة علّمنى يا رسول الله فقال **(إذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبّر ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن ثمّ اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوى قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها)** و زاد فى رواية أخرى **(فاذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك وإن انتقصت منها فإنّما أنتقصت من صلاتك.)**

هذه كيفية للصلاة بتمامها ذكرها الرسول صلى الله عليه و سلم ولم يذكر فيها القبض وصح الاستدلال بهذا الحديث على ان كلما ذكر فيه واجب لا تصح الصلاة بدونه وما لم يذكر فيه فليس بواجب و هو صلى الله عليه وسلم كان يومئذ بمقام تعليم الواجبات فى الصلاة و لايجوز فى حقه ان ينسى شيئا منها أو يقتصر بذكر بعضها دون البعض.

و كذلك حديث ابى حميد الانصارى الذى اخرجه البخارى و ابو داود و النسائى و ذلك ان أبا حميد كان فى عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال انا اعلم بصلاة النبى صلى الله عليه و سلم قالوا: نعم فو الله ماكنت بأكثرنا له تبعة ولا اقدمنا صحبة قال بلى قالوا: فاعرض، أىْ صِفْ لنا صلاة النبى قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلاً ثم يركع و يضع راحته على ركبتيه.و تابع ابو حميد رضى الله عنه فى وصف صلاته مرتبا حتى اتى الى التسليم قالوا كلهم صدقت هكذا كان يصلى صلى الله عليه و سلم مع انه لم يذكر فيها القبض و قد ذكر جميع الفرائض و السنن و المستحبات بالاستقصاء. و هذا الحديث ايضا حجة و اضحة فى السدل و حيث لم ينكر عليه الصحابة فى عدم ذكر القبض و لم يناقشوه فيه ــ رغم ان المقام كان مقام احتجاج و امتحان ــ علمنا انهم متفقون على ان القبض ليس لازما فى صفة صلاته صلى الله عليه و سلم.

اما قول مالك رضى الله عنه فى الموطإ، «كان الناس يؤمرون ان يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى فى الصلاة.» فان هذا الحديث يدل على ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا قبل ذلك يسدلون و الا كان أمرا بتحصيل الحاصل و هو عبث محال عليه صلى الله عليه و سلم.

و حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى قال فيه: «رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت شمالى على يمينى فأخذ يمينى فوضعهاعلى شمالى» يدل هو أيضا على ان ابن مسعود رضى الله عنه كان حديث عهد بالقبض لانه لايجوز ان يجهل صحابى جليل مثل ابن مسعود فعلا من افعال الصلاة الذى يكرره كل يوم سبعة عشر مرة على الاقل.

و هذان الحديثان يدلان على ان السدل هو اول فعليه و الذى يدل على انه اخر فعليه صلى الله عليه و سلم هو استمرار عمل الصحابة عليه اذ لايجوز جهلهم بآخر حالى الرسول صلى الله عليه و سلم.

و امامنا مالك رضى الله عنه كان من تابعى التابعين و قد أخذ عن علمائهم الذين شاهدوا عمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و لهذا اعتمد على ماشاهده منهم من السدل فقال رضى الله عنه انه لايرى القبض فى الفرض كما رواه عنه تلميذه ابن القاسم[١] فى المدونة و أخذ به أصحابه.

هذا و من اراد مزيدا من الايضاح فى هذا الموضوع فليطالع كتاب «موقف الفصل فى ادلة القبض و السدل.» للعلامة الحاج سعد بن عمر تورى [٢] او يطالع كتاب «ماقل ودل فى ادلة القبض و السدل» للاستاذ الشيخ احمد التجانى الفوتى [٣] فقد عالج مؤلفا هذين الكتابين ــ جزاهما الله خيراً ــ مسائل القبض و السدل و بحثا عن احكامها بحثاً دقيقاً و بينا مشروعية كل منهما و مأخذهما من صلاة الرسول و من عمل الصحابة و التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

و هذان الكتابان فى غاية الأهمية لمن يريد التفقه فى احكام القبض و السدل.

و من ذلك اتفاق الائمة على استحباب وضع اليمنى على الشمال فى القيام وما قام مقامه مع قول مالك فى أشهر رِوايتيه انه يرسل يديه ارسالا و مع قول الاوزاعى انه يتخير فالاول مشدد و الثانى وما بعده مخفف و ان تفاوت التخفيف اختلفوا فى محل وضع اليدين

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم العتكى المالكى المتوفى ١٩١ هـ.

(٢) السيد سعد عمر تورى مدير «مدرسة سبيل الفلاح» سيقوج «مالى»

(٣) الاستاذ احمد التجانى به الخطيب الاسلامى فى اذاعة والتلفزة ابدجا سع

فقال أبو حنيفة تحت السرة و قال مالك و الشافعى تحت صدره فوق سرته و عن احمد روايتان اشهرهما كمذهب أبى حنيفة و اختارها الخرقىّ[١]

هذا و منَ الجدير بالذكر ان هؤلاء الوهابيين قد اتخذوا القبض شعارا لهم ليتميزوا به عن غيرهم او ليقدّروا عَددهم و عُددهم و القبض أشرف من ان يكون وسيلة للتفريق بين جمهور المصلى أو لتمييز بعضهم بعضا.

ولا ينبغى ان يكون القبض و السدل مصدرى الخلاف بين جماعة المسلمين اللهم الا اذا استولى عليهم التعصب او الجهل باحكام الفقه لانهما ليسا من الشروط التى تتوقف عليها صحة الصلاة و ليسا من الفرائض ولا من السنن المؤكدة ولكنهما من الفضائل الخفيفة بالنسبة لافعال الصلاة ولكن اخواننا الوهابيين لما تركوا تعلم الفقه جهلوا احكام الصلاة و جعلوا الفضائل محل الفرائض و فى لحديث: **(مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فى الدِّينِ)** متفق عليه

وأخيرا نختم هذا الموضوع بمقال للاستاذ الحاج سعد بن عمر نقلناه من كتابه «موقف الفصل» و نصه ما يلى: «فالقول اذا يا اخوانى ببطلان صلوات السادلين او القابضين ليس له نصيب من الصحة ولا مستند له فى الشريعة ولا قال به من يعتد بكلامه من الاجلة و نسبة فاعل أحدهما او تاركه الى البدعة او النفاق او الكفر الموجب للخلود فى النار و دعاؤه بالفحش و البذاء و الطعن فى الايمان و الوقوع فى الاعراض حرام فى الشريعة المطهرة ولا نتيجة له سوى التدابر و التضاغن و النزاع و التفرقة و قطع الارحام و هجران المساجد و سدها و اغلاق المدارس المؤدى الى اضعاف المسلمين و فشلهم و تسليط الاعدآء عليهم كما وقع ــ فعلا ــ فى بلادنا بفعل هذه الشرذمة التى ما زالت تسعى باسم الدين وراء منفعتها الخاصة دون المنفعة العامة.»

---

(١) عمر بن حسين ابو القاسم الحنبلى المتوفى ٣٣٤

التداوى بالقرآن أو بأسماء الله تعالى

و جدير بنا ان نأتى بهذا الموضوع لانه من اشهر المواضع التى تثير الخلافات بيننا و بين الوهابيين فهم يرون ان من كتب شيئا من القرآن او من أسماء الله تعالى وعلق عليه سواء للتداوى به او للتحرز فقد كفر بالله و يرون ان فعله هذا نوع من السحر او هو السحر ذاته. عفا الله عنهم حيث اوقعهم سوء فهمهم على مخالفة القرآن و الحديث فى هذا الموضوع قال الله تعالى: **(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ* الاسرآء: ٨٢)** و قال أيضا: **(قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ* فصلت: ٤٤)** و آيات الشفاء معروفة و مشهورة لورودها فى القرآن الكريم فى ستة مواضع فالقرآن قليله و كثيره شفاء من الأمراض الحسية و المعنوية و شفاء من الامراض الظاهرة و الباطنة بدليل ماورد فى الحديث: **(الْفَاتِحَةُ شِفَاء مِن كُلِّ دَاء)** رواه البيهقى. و قال عليه السلام: **(خُذْ مِن الْقُرْآنِ مَاشِئتَ لِمَا شِئتَ.)** و قال ايضا: **(مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ لاَشَفَاهُ الله.)** و قالت عائشة رضى الله عنها: «كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ إذَا اشْتَكَى رَقَاهُ جِبْرِيلُ» فقال: (بِسْم الله يُبْرِيكَ مِنْ كُلِّ دَاء يَشْفِيكَ مِن شَرِّ حَاسِدٍ إذَا حَسَد.) و روى عنها ايضا: «كَان صلى الله عليه وسلم إذَا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات و ينفث فى يده و يمسح بها ما بلغ من جسده»

و هذا دليل على ان التداوى بالقرآن او بأسماء الله تعالى جائز و أخذ العوض عنه جائز كذلك لما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال: «انطلق نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حىّ من العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شئ فلم ينفعه فأتوا به الى الرهط فقالوا لهم ان سيدنا قد لدغ وقد سعيناله بكل شئ فلم ينفعه فهل عند احد منكم شئ فقال بعضهم نعم و الله إنى لارقى ولكن قد استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق حتى تجعلوا لى جعلا «أيْ أجْراً» فصالحوهم على قطيع من الغنمَ فأخذ الصحابى يقرأ الفاتحة و يتفل عليه فقام الرجل يمشى وما به علة فاوفوهم جعلهم ولما رجعوا الى المدينة

اخبروا النبى بذلك فقال لهم النبى صلى الله عليه و سلم: (إنَّ أحَقَّ مَا اتخَذتمْ عَلَيْهِ أجْراً كِتَابُ الله) رواه البخارى. هذا ولنا اسوة حسنة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم الذين هم نجوم الهدى و يصح الاقتداء بهم فى كل شئ و الذين سبقونا الى هذا العمل الطبى و أخذوا منه الأجرة فأجازهم الرسول أكل هذه الأجرة و هو صلى الله عليه و سلم اعلم بما يجوز أكله وما لا يجوز.

و اما قولهم بأن الرّقية هى الجائزة، لكونها هى الواردة فى الاحاديث و الآثار الصحيحة، دون الكتابة للشرب و التعليق. و أن الكتابة حرام مطلقا، فهذا القول مردود لأنا لم نجد فى احكام الشريعة الاسلامية حكما يجوز التلفظ به و يحرم كتابته. فكل ما يجوز لفظه يجوز قطعا كتابته، و مالا فلا!

و من المعلوم ان الكلمات التى يلفظ بها الراقى هى نفس الكلمات التى يكتبها الكاتب على السواء ولا يحتمل تجويز أحدهما مع تحريم الآخر فاللفظ و الكتابة أمران متحدان حكما و معنى يقوم كل منهما مقام الآخر.

و فى «الرسالة» لابن أبى زيد القيروانى: «ولا بأس بالمعاذة تعلق و فيها القرآن» و يكون مستورا بطاهر يقيه الأذى ولا بأس ايضا بالرقية من غير القرآن حيث كان عربيا مفهوم المعنى كالمشتمل على ذكر الله و رسوله و أما مالا يفهم معناه كالكلمات العجمية و الطلاسيم المبهمة فلا تجوز الرقية بها لان الامام مالك رضى عنه سئل عن الأسماء العجمية قال: «وما يدريك أنها كفر؟» وقد روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: (إذَا فَزِعَ أحَدُكُمْ فى النَّوْمِ فَلْيَقُلْ أعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَ عِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأنْ يَحْضُرُونِ فَإنَّهَا لَن تَضُرَّهُ) و كان عبد الله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه و من لم يعقل كتبها فى صك ثم علقها فى عنقه. «رواه ابو داود و النسائى و الترمذى» و يقول عليه السلام: (لاَ بَأس بِالرُّقَى مَالَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْك.) و يقول ايضا فى حديث آخر: (لَنْ يَجْعَلَ الله شِفَاء أمتى فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهَا.)

و يستفاد من هذين الحديثين على ان التداوى بأسماء الله تعالى و آياته يجوز مطلقا لأنه لو لم يكن جائزاً ـ كما يفهم من سياق هذا الحديث لما شفى بها احد من الأمة، و قد اثبتت التجارب أن ألافاً أو ملايين من المرضى قد شفاهم الله بمحض ارادته ثم ببركة هذه

الآيات المكتوبة. و شأن هذه الآيات المستشفية بها، شأن غيرها من الادو ية الاخرى و كلها لا تأثير لها فى دفع الشر و لا فى جلب الخير إلا ما كان من توفيق الله تعالى. هذا و ليس من المعقول أن تكون العقاقير التى نروح و نغدو الى الصيدليات لشرائها طلبا للشفاء، أكثر أهمية و أعظم عند الله درجة من المعوذات و آيات الشفاء التى نكتبها هى ايضا لنفس الغرض. فكلٌ من الآيات المكتوبة و العقاقير المشرو بة و العمليات الجراحية المستعملة لاقوة لها فى حد ذاتها لدفع المرض او استعادة الصحة و لكنها اسبابٌ و وسائل ليس إلاَّ! فالشافى الحقيقى انما هو الله وحده. ولقد اجاد من قال:

إنَّ الطَّبِيبَ لَذُو عِلْمٍ وَ مَعْرِفَةٍ * مَادامَ فى أجَلِ الانْسَانِ تَأخِيرُ

حَتَّى إذَا مَا انقضت أيَّامُ مُدَّتِهِ * حَارَ الطَّبِيبُ وَ خَانَتْهُ الْعَقَاقِيرُ

اما احتجاج الوهابيين بالحديث القائل: (مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أشْرَكَ.)

و الحديث القائل: (مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةَ فَلاَ أتَمَّ الله لَهُ وَمَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فَلاَ وَدَعَ الله لَهُ.)

فهو ــ على ما أعتقد ــ من الوهم اللغوى عندهم لأن التمائم معناها فى اللغة «خَرَزَات» وَ هى ما ينظم فى السلك من الجذع و الودع و مايشبهها و قد كان الاعراب فى الجاهلية يضعونها على اولادهم للوقاية من العين و دفع الارواح فلما جاء الاسلام نهاهم الرسول عن ذلك.

و على هذا فان المراد بالتمائم و الودع فى الحديث المذكور إنما هى تمائم الجاهلية و ودعهم التى كانوا يعلقونها قبل الاسلام ولا يتصور حمل هذه الاحاديث على ما يكتبه المشايخ من الآيات القرآنية و الاسماء الالٰهية للتعوذ بالله او لطلب الخير منه لما سبق ذكره من احاديث و آيات الشفاء و لعدم التجانس بين هذه و تلك!

و شتان بين خرزة مثقوبة و ورقة مكتوبة بحروف عربية ذات معنى صحيح مطابق بقوله تعالى: (وَلله الأسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا* الاعراف: ١٨٠)

و الدعاء سواء كان باللفظ او بالكتابة و سواء للدنيا او للاخرة كله جائز لقوله تعالى: (أدْعُونى أسْتَجِبْ لَكُمْ* المؤمن: ٦٠) و لما فى الحديث: (الدُّعَاء مُخُّ الْعِبَادَةِ)

هذا و ينبغى استمرار المنع لخصوص تلك الجذع و الودع التى مازال بعض العوام يستعملونها حتى اليوم. و يجب منعها اياهم تبعا للاحاديث الصحيحة الواردة فى عين هذه

الجذع و الودع المعروفة.

و اما كتابة هذه الآيات القرآنية و هذه الأسماء الالهية لقصد الضرر و ظلم عباد الله كاهلاكهم مثلا و إتلاف أموالهم أو لادخال العداوة بينهم فهو الممنوع الحرام يعاقب به فاعله و المفعول له معا الآ من تاب و آمن و عمل صالحا و يحرم كذلك الدخول بها فى الاماكن النجسة و المواضع القذرة. و يجب على المشايخ التنبيهُ عليه و تحذيره، و ان لايكتبوها إلا لمستحقها لغرض جائز شرعا و تكون مستورة بطاهر كالجلد و نحوه و حينئذ لاحرج و الله اعلم.

بيان أوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم

تختلف الآراء و الاتجاهات من دعاة الوهابية ايما اختلاف و كأن لكل و احد منهم أوامره و نواهيه الخاصة به ينفرد بها دون غيره و ليس من السهل التوفيق بين هذه الآراء المختلفة و تلك الاتجاهات المتناقضة و الجمع بينها.

و بما ان الواجب على المرء ان لايقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب او طائفة حتى يثبت لديه صحة ذلك، بان يسمع من ذلك الشخص ما قيل عنه أو يقرأ كتبه او يجتمع بأصحابه المقربين لذالك بذلت جهدى فى تحصيل الكتب الوهابية لأقف على حقيقة هذه الدعوة قبل ان اصدر حكمى لها او عليها و قد اطلعت على بعض هذه الكتب و قرأت شيئا من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب و رسائله كما اجتمعت ببعض وهابيى بلادنا البارزين و استمعت اليهم و فهمت مقاصدهم و خلال مقارنتى بين مقالات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، و بين ما هو عليه وهابيُّو بلادنا لاحظت اختلافا جوهريا فى الاقوال و الافعال بل و فى العقائد بين الادارة الوهابية و بين المتوهبين الآخرين و خاصة اولٰئك الموجودين معنا الذين يخالفون الشيخ تماماً و بصفة غير معهودة بين المتبوع و التابعين و ذلك مما يؤكد بوضوح على ان الدعوة الوهابية قد اصابها داء التعصب و الفوضى من قبل بعض المتطرفين و المنحرفين الذين سلبوا من هذه الدعوة جميع القيم و المثل العليا و

أقل ما يقال فيهم، هم اصحاب مراء و جدال استولى عليهم الجهل والتعصب.- بل هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون -.»

وها انا انقل لك ايها القارئ الكريم بعضا من الرسائل التى كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى بعض أتباعه و التى ذكر فيها عقيدته وما هو عليه. قال رحمه الله بعد البسملة و الصلاة على النبى: «أشهد الله و من حضرنى من الملائكة و اشهد كم أنى اعتقد ما اعتقده اهل السنة والجماعة من الايمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله. و أقرّ بكرامات الأولياء إلا انهم لايستحقون من حق الله شيئا ولا اشهد لاحد من المسلمين بجنة ولانار، الا من شهد له الرسول صلى الله عليه و سلم ولكنى ارجو للمحسن و أخاف على المسئ . ولا أكفّر احداً من المسلمين بذنبه ولا اخرجه من دائرة الاسلام. و أرى هجر أهل البدع و مباينتهم حتى يتوبوا و أحكم عليهم بالظاهر و أكل سرائرهم الى الله.

و نحن فى الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ولا ننكر على من قلّد الائمة الاربعة دون غيرهم. ولا نستحق مرتبة الاجتهاد ولا احد منا يدعيه.» انتهى ما نقلناه من رسائل الشيخ ابن عبد الوهاب التى بيّن فيها عقيدته وما هو عليه.[١]

ولٰكن لننقل لك ايضا - ايها القارئ الكريم - بعض المحاورات و المناظرات التى جرت بينى و بين الأصدقاء الوهابيين ليتبين لك عقيدة وهابيى بلادنا، و لتعلم أيضا بان جميع ماذكرناه فى هذا الكتاب من احوال الوهابيين انما هو عن علم اليقين. «و ليس الخبر كالعيان.» لقد قمت مرة بزيارة لمدينة «سِكَاسُو» فجاءنى بعض الأصدقاء من الوهابيين للسلام على كالعادة ولما استقر بنا الجلوس شرعنا فى الحديث عن الخلافات الدينية و تأثيرها فى المجتمع و اقترحنا ان نتحدث فيما بيننا بنوع من الصراحة لنجد التفاهم و نزيل الخلافات القائمة بيننا. فابتدرت بالسؤال قائلا: لماذا خرجتم من المسجد و تركتم الصلاة معنا فهلاً نُصلى معاً فمن شاء منا يقبض يديه و من شاء يسدل كماهى الحال فى كثير من المساجد؟ فأجابنى احدهم قائلا: لا يا أخى المشكلة ليست فى القبض او فى السدل و لكننا فى الحقيقة نعتبركم مشركين فلا نرى صحة الصلاة خلف واحد منكم ثم قلت له: لأىّ شئ تعتبروننا مشركين؟ قال: لأنكم تعلّقون التمائم و تتوسلون بالأنبياء و

(١) نقلناه من كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية و دعوته الاصلاحية»

الصالحين. فعلمت ان هذا الاخ مصاب بداء الجهل و هو بحاجة الى طبيب الارشاد.

و تحدثت مرة اخرى مع صديق آخر منهم فقلت له: لو استطاع المسلمون ان يجمعوا كلمتهم و يوحدوا صفوفهم بدلاً من هذه الخلافات لكان خيراً لهم فأجابني الصديق: نعم ولكن لايستطيع المسلمون ان يتحدوا الآ اذا تمسكوا بالكتاب و السنة و تركوا ماسواهما من المذاهب و الطرق التى هى مصادر الاختلاف بين المسلمين. ومادام يقال هذا مالكيّ و ذاك شافعى و آخر حنبلى فإن الا تفاق بين المسلمين محال. فعلمت أيضا ان هذا الاخير أشد جهلا من الاول و قد بلغ به جهله ان ينكر كل شئ حتى على المذاهب الاربعة المجمعة على صحتها.

و فى مدينة «قاوننى» حيث بنوا مسجداً جديداً يؤدون فيه صلاة الجمعة بجوار الجامع العتيق تحدثت يوما مع واحد منهم فقلت له: ما رأيكم فى هذا المسجد الذى تقيمون فيه صلاة الجمعة هناك جامع عتيق غير ضائق وليس ثَمَّ عذر شرعى يمنعكم من الصلاة فيه؟ و مع ذلك فمسجدكم هذا فى بعض الاوقات لايجتمع فيه اثنا عشر رجلا فكيف ترون صحة صلاة الجمعة فى هذا المسجد؟ فقال لى شكرا على هذا السؤال ولكن لا تنس أن هذا التحديد الذى ذكرتموه من ان صلاة الجمعة لا تصح بأقل من اثنى عشر رجلا انما هو من قول الامام مالك رضى الله عنه فلسنا نحن متقيدين به ولا بغيره من الائمة فالمعمول عندنا ان صلاة الجمعة تصح باثنين و بثلاث و بأربع بلاحد.

و أعجب من هذا فقد جاءنى فى العام الماضى اخ و هو من اهل البادية فى نواحى «نيُور» و قال لى بأنه جاءهم رجل من علماء الوهابية و أفتى لهم بجواز أداء صلاة الجمعة لكل شخص حيثما حضرته الصلاة سواء كان فى القرية او فى الفلاة، و حجته فى ذلك أن المسلم حيثما صلى فهو يصلى مع جماعة من الملائكة وقال لى هذا الاخ بأنه شخصيا صلى صلاة الجمعة مع ثلاثة رجال من الوهابيين و هو رابعهم صلوا هذه الصلاة بلا خطبة ولا فى مسجد مبنى، فسألنى ذاك الاخ عن صحة تلك الصلاة، و أمرته بالاعادة ظهرا، لعدم توفيتها شروط الجمعة.

و من جملة مايحرمه وَهَّابِيُّو بلادنا الصور «الفُوتُوغرَافِيَّةُ» حتى ان بعضهم لايبيع ولا يلبس الأقمشة التى توجد فيها صور الاشخاص او الحيوانات ولا يخفى أن علماء

الحرمين الشريفين قد افتوا بجواز هذه الصور «الفُوتُو غَرَافِيَةِ» لأهميتها فى شتى المجالات ولا حاجة لنا إلى السؤال هل الصواب مع هٰؤلاء المتطرفين ام الحق مع علماء الحرمين الشريفين؟

اما التدخين فليس بمحظور فى شريعتهم على الارجح لاجتماع غالبيتهم على استعمال هذه المادة الضارة فلا نزال نشاهد الدخان يخرج من فم الاخ الوهابي و هو لايستحيي ان يضر نفسه و لمن بقربه من نتْنِ هذا الدخان بينما قرأنا فى الكتب الوهابية بان الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يحرم التدخين.

فاذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول صراحة بأنه مقر لكرامات الأ ولياء. ولا يكفر احداً من المسلمين بذنب و هو فى الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل فإن اتباعه اليوم قد خرقوا جميع هذه المقررات و استحقوا بأن نسميهم «وهّامين» بدلا من الوهابيين لانتهاجهم سلوكا اخر غير الذى قرره الزعيم الوهابى.

و استناداً منا على هذه الحقائق المذكورة فإن الدعوة الوهابية قد تحولت هنا الى دعوة تجارية يستغلها البعض على حساب البعض الآخر.

و الوهابية هنا - على التحقيق - عبارة عن انكار أولياء الله تعالى، و عن التشديد فى الدين، و التقليل من ذكر الله و الصلاة على نبيه المصطفى و أضِف الى ذلك عدم الاحترام للسادة المشايخ، ولآل بيت النبى فكل من تكونت فى شخصيته هذه الصفات فهو الوهابى الكامل، الذى يسمى عندهم بالسنى.

هل هم سُنيّون أم وهابيون؟

يغالط البعض فى هذه المسألة أسوأ الغلط حيث يسمون أنفسهم بالسنيين، بينما لاعلم لهم بالسنة الاّ اسمها و لاصلة لهم بها اكثر من ادعائها و التفاخر بها كأنها فى نظرهم لقطة فلاة يختص بها اللاقط مهما كانت صفاته و كيفما ساء سلوكه و أخلاقه. ولكن هيهات ان تحقق الادعاءات نفعا، او تقيم لأصحابها وزنا.

و يزعم هٰؤلاء المعنيون انهم سنيون و ليسوا بوهابيين و العجب كل العجب ان يدعى الجاهل انه سنى او انه زعيم للدين بارز و ليس من المعقول ان يكون الجاهل سنيا فان العلماء أنفسهم عجزوا ان يكونوا سنيين حقيقيين الاّ الخواص - وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ - فكيف بالجهال الذين هم فى واد والسنة النبو ية فى واد.

فالسنية عبارة عن اتباع سنة الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه و الاقتداء باقوالهم و أفعالهم و سلوكهم و أخلاقهم و ذلك يقتضى العلم و العمل معا و بفقد الاول تكون سنية الجاهل محالا و بفقد الثانى تكون سنية العالم باطلا ولابد من اجتماعهما معا و إلاّ فهى سنيّة اللسان لا غيرفنحن لانقبل سنية الجاهل مهما طالت لحيته او اشتد تنسكه. و فى الحديث: (شَرُّ أُمَّتِي رَجُلاَنِ عَالِم مُتَهَتِّكٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ) و قال الشاعر:

فسادٌ كَبِيرٌ عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ ٭ وَ أَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكُ
هُمَا فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ ٭ لِمَنْ بِهِمَا فى دِينِهِ يَتَمَسَّكُ

و قال الآخر:

«كَمْ لِحْيَةٍ طَالَتْ عَلَى ذَقْنِ جَاهِلٍ ٭ وَمَا تَحْتَهُ اِلاَّ الْغَبَاوَةُ وَ الْجَهْلُ»

فالسنة النبو ية تلاحظ صاحبها فى جميع حركاته و سكناته و تراقبه فى كل العبادت و المعاملات من المشى و الكلام و الأكل و الشرب و البيع و غيرها و هى تفرض على المرء ان لايفعل فعلاً حتى يعلم حكم الله فيه و يسأل العلماء و يقتدى بالمتبعين لسنة محمد صلى الله عليه و سلم.

و من هنا نعرف ان السنية لا تكون فى زى خاص ولا فى هيئة معينة، بل هى اشرف من ان تتستر فى مثل تلك الاماكن التى ان هى الآ حبائل يصطاد بها ضعفاء العقول و العقيدة. و فى الحديث: (**إِنَّ اللهَ لَايَنْظُرُ اِلَى صُوَرِكُمْ وَلاَ اِلَى أَقْوَالِكُمْ وَلكِن يَنْظُرُ اِلَى مَا فى قلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**) رواه الطبرانى

هذا و قد نفهم من خلال هذا الحديث الشريف ان هذه الشعارات الايهامية التى يعتمد عليها بعض دعاة الوهابية و التى تتمثل فى توفير اللحية و لبس البيض و التغطى بالعمامة وما الى ذلك لا تكفى بأن تكون تعريفا كافيا للسنى الحقيقى وهم - مع الاسف - قد اخطأوا فى تقدير السنية حيث قيدوها فى نوعية اللباس و فى ظاهر الهيئات.

و انما يعرف السنى بظواهر تقوى الله فى السر و العلانية و بامتثال الأوامر و اجتناب النواهى و بالصدق فى القول و الاخلاص فى العمل و بالقيام بوظائف العبادات من الفرائض و السنن و النوافل و أدائها كاملة غير منقوصة.

و يعرف السنى كذلك بالتخلى عن الاوصاف الذميمة و الاحوال الوضيعة و التحلى به بمحاسن الصفات و مكارم الاخلاق.

فمن شأن السنى ان يدعو الناس الى دين الله تعالى بالحكمة و الموعظة الحسنة و يجادلهم بالتى هى أحسن. كما من شأنه أن لايكون سباباً ولا لعاناً ولا فظا غليظا ولكن هينا لينا يعفو و يصفح و يبشر ولا ينفر اقتداء بالرسول الكريم القائل «**لَمْ أُرْسَلْ سَبَّاباً وَلاَ لَعَّاناً**» و الذى قيل عنه: (**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ* آل عمران: ١٥٩**)

و السنى - بعبارة أوجز - هو من وضع قدمه على قدم الرسول صلى الله عليه و سلم بحيث تكون أقواله و أفعاله مطابقة لأقواله و أفعاله صلى الله عليه و سلم يصدق لسان حاله لسان مقاله و يكون متصفا بمكارم الأخلاق فى سائر احواله السرية و الجهرية و فى جميع تصرفاته و معاملاته مع الناس.

و السنى لايتجاهر بسنيته ولا يتفاخر بها بل يخفيها قدر الامكان خوفا من الابتلاء و جريا على عادة السنيين الحقيقيين. و يكون السنى مجتنبا الكذب و الغيبة و النميمة عازلاً عن حب هذه الدنيا الفانية وما فيها من الشهوات النفسانية راضيا القضاء

حلوه و مره لايخطر بقلبه حسد ولا رياء ولا رؤية فضل على الغير و يكون شغله الشاغل مراقبة قلبه عن أن يدخله ما سوى الله و معالجته من امراض الكبر و الحسد و العجب و الحرص و تطهيره من دنس الخواطر النفسانية و الوساوس الشيطانية و يترك الهذر و الفضوليات و يتقى الشبهات فى مأكله و مشربه و ملبسه و يحذر الغش فى بيعه و شرائه و يراعى حقوق جيرانه و يتحمل أذاهم و يوقر كبار المسلمين و يرحم صغارهم و يساعد الضعفاء و المحتاجين.

و يقدم المصلحة العامة على المنفعة الخاصة و يصل مَنْ قطعه و يعطى لمن حرمه و يعفو عن من ظلمه و يحب لغيره ما يحب لنفسه و يضيف السنى الى كل هذا الاحتساب الى الله و تفويض أمره اليه لايأمن مكر الله ولا يقنط من رحمته بل يكون دائما بين خوف و رجاء لايزكى نفسه ولا يعجبه علمه او عمله لما فى الحديث: **(النَّاسُ كُلهمْ هَلْكَى اِلا الْعَالِمُونَ، وَ الْعَالِمُونَ كُلهمْ هلكى اِلاّ الْعَامِلُونَ، وَ الْعَامِلُونَ كُلهمْ هلكى، اِلاّ الْمُخْلِصُونَ وَ الْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ.)**

فتلك نبذة يسيرة من اخلاق السنى وهذه صفاته فانظر نفسك ايها الاخ الوهابى، فان كنت هكذا فأنت سنى حقاً. و إلا، فلا! و اياك ان تكون من الذين يقولون مالا يفعلون قال تعالى: **(كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تَفْعَلُونَ* الصف: ٣)**

صدق الله العظيم

وجوب صلة الرحم و خطورة قطعها

فصلة الرحم واجبة فى الكتاب والسنة والاجماع قال الله تعال:
(وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ* النساء : ١)

ومعنى الآية ـ والله اعلم ـ اتقوا الله وصلوا ارحامكم ولا تقطعوها لاسباب غير شرعية وفى الحديث: **(يَقُولُ اللهُ تَعَالىٰ أنَا الرَّحْمَانُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا إِسْماً مِنْ إِسْمِى فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ)** رواه الطبرانى عن جرير وقال عليه السلام: **(الرَّحِمُ مُعَلَّقَة بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنى وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَنِى قَطَعَهُ اللهُ)** اخرجه الطبرانى والبيهقى و يروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عليه وسلم **(مَامِنْ ذَنْبٍ أجْدَرُ أنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبة فى الدُّنْيَا مَعَ مَايُدَخِّرُ لَهُ فى الآخِرة مِنَ الْبَغى وَقَطِيعَة الرَّحِم)**

وهذا جاء الاسلام مهتما بشأن الارحام وحث المسلمين على صلتها ورعايتها فى جميع المستويات وأكد لهم من ان قطعها مما يستوجب اللعنة وسوء العاقبة قال تعالى:
(وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأرْضِ أُولٰئِكَ لَهُمُ اللعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ* رعد : ٢٥)

وقد ظلت صلة الرحم عنصرا هاما من عناصر الدين و هدفا حيو يا من اهداف الاسلام و لها اهمية كبرى فى الدين و المجتمع و من الضرورى ان نوليها ـ نجد ايضا ـ اقصى ما يمكن من الاهتمام لأنها اى الرحم عاهد الله تعالى ان من قطعها قطعه الله و من وصلها وصله الله والله لايخلف الميعاد.

فمن واجبنا ـ نحن التلاميذ ـ وكل المسؤولين ان نعلم اخواننا المسلمين كيف يجب عليهم مواصلة ارحامهم وكيف يحسنون المعاشرة فيما بينهم وذويهم وما وعده الله للقائمين بهذه الواجبة الانسانية. ونحذرهم كذلك من مغبة قطع الارحام وتفريق وحدة المسلمين وما يترتب عليهما من الندم و الخسران فى هذه الدار و تلك الدار الاخرة. وفى الحديث: **(إنَّ رَحْمَةَ اللهِ لا تَنْزِلُ عَلى قَوْم فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِم)** رواه الاصبهانى وقال عليه السلام: **(كُلكُمْ رَاع وَكُلكُمْ مَسْؤلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)** ومتفق عليه عن ابن عمر

فالسعيد من لم يكن سببا للتفريق بين الامة او لأدخال العداوة بينها و يقول الرسول عليه السلام: (**أَيُّمَا رَجُل قَامَ يُفَرِّقُ بَيْنَ امتِى فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ**) و يقول ايضا: (**الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَهَا**) رواه الديلمي

هذا ومادمنا فى موضوع صلة الرحم فمن المناسب ان نورد هنا مسألة بر الوالدين و وجوب طاعتهما والاحسان اليهما قولا وفعلا والدعاء لهما فى حال الحياة و بعد الوفاة لانهما سبب الوجود وسر الحياة وخاصة الذين ربّيا كتربية اسلامية. فعقوقهما من الكبائر التى يترتب عليها الوعيد والعياذ بالله. فلا يحثك على عقوقهما و مقاطعتهما إلا عدوك الذى ينتهز فرصته ليختلس مالديك ثم يتبرأ منك يوم تقف بين يدى الله تعالى.

وهناك من افراد الوهابيين من يعوق والديه و يعتبرهما مشركين لا لشئ سوى انهما لم يستسلما للدعوة الوهابية أو لم يقبضا أيديهما فى الصلاة ولايراعى فيهما حقوق الابوة ولايؤدى لهما واجب البنوّة وهو يعرف ان أباه هوالذى أخذ بيده وهو صغير وذهب به الى المعلم ليعلمه مبادئ الاسلام وشرائع الدين فلما كبر هذا الولد المسكين وتوهب أبى الا ان يسمى اباه هذا مشركا عازما ان لايعامله الابقدر ما يجوز التعامل به بين المسلم و المشرك.

وصار ـ بهذا القرار ـ ناسيا او متناسياً كل ما قدم له هذا الوالد من عناية ورعاية، وحنوٍّ أيام مهده وصباه. وقد أنساه شيطانه أنه لو ذهب به ابوه يومئذ الى الكنيسة لصار رهبانيا او الى الكاهن لكان ساحراً عليما. فاذا كان هذا هو جزاؤك لوالدك ايها الولد فأين جزاء الاحسان بالاحسان؟

هذا ولاشك ان هناك أيدياً مجرمة تحركهم من تحت الستار وتشجعهم على المضى بماهم عليه من العقوق والتقاطع مع آبائهم وذويهم و تزين لهم سوء أعمالهم هذه بانها نوع من الجهاد وأنها من امتثال اوامر القرآن حيث يقول الله تعالى: (**لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادّونَ مَنْ حَادَّاللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْإِخْوَانَهُمْ أَوْعَشِيرَتَهُمْ*** المجادلة : ٢٢) فاتقوالله ايها الأولاد واذكروا قوله تعالى: (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً*** الاسرآء :٢٣) وقوله عليه السلام: (**الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ**) رواه الحاكم وصححه

خاتمة الكتاب

وفى الختام أرجو من الاخوة الوهابيين سامحنى الله واياهم ان يرجعوا عن الانكار بما لم يحيطوا به علما وان يبادروا إلى التوبة بالندم على ما فات قال الله تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً) وان يجتنبوا سوء الظن باخوتهم المسلمين قال تعالى: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ * الحجرات :١٢) وقال: (فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى * النجم :٣٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلمُ مَن سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِن لِسَانِهِ وَيَدِهِ) رواه احمد عن ابى هريرة وقال ايضاً: (طوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ) اخرجه أبو نعيم هذا ولابد من نهى المنكر ايًا كان مصدره لقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ * آل عمران :١٠٤) ولقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكراً فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ وَإن لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ وإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وذَلِكَ أَضْعَفُ الايمَانِ) رواه مسلم والترمذى

ولكن يجب التمييز بين كبائر الاثم وصغائر الذنوب و بين مايؤدى إلى الشرك وما يفضى الى الحرام ولايجوز تكفير المذنب ولاتحريم المكروه

وقد جعل الله لكل شئ قدرا وهو سبحانه و تعالى المحلل والمحرم وليس لأحد تغيير احكامه، ولا تعدية حدوده وإنما عليه وضع النقط على الحروف قال تعالى: (وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * المائدة :٨٧) وقال: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظلم نَفْسَهُ * الطلاق :١)
صدق الله العظيم

و على ضوء هذه الآيات البيّنات والاحاديث النبوية الشريفة نوجه ندائنا الى قادة الامة من العلماء والحكام وجميع اولياء الامور بصفة عامة ان يشاركوا على انقاذ هذه الامة التى تكاد تفقد دينها ودنياها و كل شرفها ومعنوياتها. فعليهم أن يؤددوا صفوفهم و يُضاعفوا جهودهم و يعملوا لتحقيق فرص التفاهم و التآلف بين جماهير المسلمين و يتعين على هؤلاء القادة اينما كانوا ان يساعدوا - بكل ما هو ممكن - على حل الخلافات و

المشاكل القائمة - اليوم - بين افراد المسلمين وجماعاتهم خدمة للدين و الوطن والانسانية جمعاء.

ومعلوم بالضرورة ان الخلافات كانت موجودة بين فئات المسلمين عبر القرون والعصور. ولكنها لم تكن قد وصلت الى درجة تكفير المسلمين بعضهم بهم مثلما حدث فعلا من بعض دعاة الوهابية المتطرفين الذين تضررت بهم الأخوّة والدين والارحام معا.

وحبّذا لو تدخلت الحكومات بصورة جدّية فى شأن هذه النزاعات الّأشرعية و وضعت حداً نهائيا لحل تلك الخلافات باعتبارها خرقا لقوانين الشرعية الاسلامية التى يجب على الجميع تطبيقها. وإلا ضربت بقيود من حديد على أيدى اولئك المجرمين الذين يسعون باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية. وإذا لم تقم الحكومات بواجباتهانحو حل هذه الخلافات فإن عواقب الشعوب ستظل مضطربة وسينتهى الأمر إلى حروب أهلية لامحالة.

و يتعين كذلك على ساداتنا المشايخ، المعلمين منهم والمربين وجميع الائمة والوعاظ ان يشاركوا بدورهم على تحقيق هذه الغاية النبيلة و يعلّموا أتباعهم وتلامذتهم ضرورة توحيد المسلمين واحترام بعضهم بعضا. وان يلازموا الحذر كي لايتخذهم الشيطان وسيلة للتفريق والقاء العداوة بين المؤمنين. وعليهم ان يقدروا هذه المسئولية الجسيمة التى وضعها الله على عواتقهم والتى هم مسؤولون عنها امام الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلّكُمْ رَاعٍ وَ كُلّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) متفق عليه

وذلك ما نزيد ان يفهمه ايضا قادة الوهابية ليساعدوا الامة الاسلامية على جمع كلمتها وحماية وحدتها بدلا من اثارة الفتن والخلافات بين صفوف المسلمين.

وهذا ما تيسر لنا جمعها من هذه المسائل على اننا نقدر بل ولم نحاول ان نستوعب جميع ما تتطلبه هذه المواضع من الشرح الطويل و البحث الدقيق وانما هو امتثال فقط بوجوب النصيحة وايمان بان الذكرى تنفع المومنين.

وفى الختام نتوجه الى الله القدير قائلين اللهم أيد الاسلام واجمع كلمة المسلمين و وفقهم لرؤية الحق حقا وأعنهم على اتّباعه ولرؤية الباطل باطلا و أعنهم على اجتنابه اللهم انت الشاهد و كفى بك شهيدا ان اريدالاّالاصلاح مااستطعت وما توفيقى الاّ بالله عليه

توكلت واليه انيب سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

تقاريظ العلماء

ولما انتهينا من كتابة هذه المؤلفة عرضناها على كثير من علمائنا المفقهين و أساتذتنا المثقفين فى مختلف الاماكن و الاوطان و طلبنا منهم ان يبدوا بآرائهم وملاحظاتهم - وانتقاداتهم - بكل حرية - حول موضوعات هذه المؤلفة و عباراتها و رجونا منهم كذلك ان يساعدوا على تحسين ما يصدر فيها من الخطإ و الهفوات.

وقد تفضلوا مشكورين بتلبية طلبنا و تحقيق رجائنا. حيث قاموا بمراجعتها و تصحيحها مرات عديدة وأدخلوا فيها مزيدا من التغييرات والتعليقات حسبما تتطلبه الحاجة و يقتضيه الموضوع

وأخيرا أعربوا جميعا عن استحسانهم بهذه المؤلفة وتأييدهم لها. و نحن اذ نحمد الله تعالى فى البدإ و التمام فلا ننسى ان نشكر السادة العلماء على مشاركتهم معنا. فى تحقيق هذه المحاولة المتواضعة، وتشجيعهم إيانا تشجيعا بلغ الغاية.

ولاأدلَّ على ذلك من هذه التقاريظ التى كتبوها بمحض إرادتهم و بعثوها الينا من مختلف المدن و الجمهوريات و فيما يلى نص تلك التقاريظ على التوالى

حضرة الاخ الحاج مالك به : إننى راجعت الرسالة من اولها الى آخرها كباحث و متفقد حرفا حرفا بل جملة او كلمة فوجدتها صحيحة و موافقة للموضوع الذى قمت لسببه وهو الرد على الوهابية. فكلمات الرسالة جديرة بأن تكتب باللجين.

فارجو من الله تعالى ان يزيدك فهما وان يعينك على الاصلاح ما استطعت وان يجعل مثواك غدا مع الابرار وان يغفر للمسلمين أجمعين.

من الاخ ابى بكر جحتى

مدير مدرسة «سبيل الديانة» موبتى

جمهورية «مالى» MALI

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله و بعد فليعلم الواقف على هذه الورقة أن قد طالعت هذا الكتاب بعين الرضى صفحة بعد صفحة فوجدته صحيحا فوق الغاية مكتوبا بقلم الفصاحة والبلاغة والادب بل هى جريدة حسناء بلغت الغاية فى الجمال.

فجزاك الله عن الاسلام خير الجزاء وأدام شمس سيادتك العلية ورعاك بعين رعايته من حاسد اذا حسد والحمد لله على التمام ودمتم بخير وعافية.

الكاتب عثمان عبد الله سكلّى

المدرس فى مدينة سنس عبد الله عصمه الله

جمهورية «مالى»

ومن مدينة تمباكندا - بالسنغال - بعث الينا الاستاذ جيران الحسين جاكو بهذا التقريظ القيم استهله بقوله:

قال الحسين بن محمود جاك: شهدت بالله لله فى الله بانك جاهدت جهدك فى سبيل الله جزاك الله عن الاسلام خيرا من اجل فرحى كتبت الحروف بقولى:

الحاج مالك به أقضى برسالة للرد والتحقيق بل لتودد
فبخ بخ لرسالة مرسومة بعناية من فيض جود محمد
برواية منقولة من سنة و دراية ومواهب من ماجد
اسناده أى الكتاب المحكم فجزاه ربى بالجزاء الامجد
فغرور والمغرور كل سادم فرح الغيور لصون سنة احمد
دمْ باحثا متضلعا متورعا متجاهدا حتى تلاقى احمد
صلى عليه الله مادام الهدى يهدى اليه هداة دين محمد
والآل والاصحاب مع ازواجه ومن انتمى يوم الدين محمد

اهـ.

الحسين بن محمود جاك
الخطيب الاسلامي بدار الاذاعة الوطنية
«تمبا كندا» جهورية السنغال

ومن مدينة كيهيد بالجمهورية الاسلامية الموريتانية اتصلنا بالتقريض التالى الذى بعثه الينا زميلنا هارون موسى جل معلم القرآن الكريم و هذا نصه: الحمد لله الذى قدر فهدى و الصلاة و السلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعد: ان الاخ المسلم و الصديق الملهم السيد الاستاذ الحاج مالك به جدير بان يكتب اسمه مع اسماء العظماء الذين ناضلوا وضحوا ارواحهم وهدروا دمائهم الغالية للحق ومن اجل الحق.

وان هذا التأليف لجدير ايضاً ان يكتب بماء الذهب والفضة و انى اقسم بالله: قد وضعت النقاط فوق حروفها وقد امطت اللثام عن حركات المشبوهين لدين الله والذين جاؤا بالبدع و كفروا كل من خالف بدعهم و اهواء هم الفاسدة. والله وقد زادوا الطين بلة لمخالفة رؤساء الاسلام فى مسئلة الاغاثة و اخطئوا فى التقدير رغم اجتهادهم فى الدين و كلمة التوحيد اقال الله عثراتنا و عثراتهم.

وانا لنشكر الله عز وجل ثم نشكر الاخ على نصحه لجميع المسلمين سدد الله

خطاك ايها الاخ المسلم و يبارك فيك و فى قلمك الميمون.

هرون موسى جل
معلم القرآن الكريم فى مدينة كيهيد
ج الاســلامية الموريتانية

الحمـد لله الـذى اهـدى اليـنـا السيد الفاضل الغيور والناصر المعين القائم لقمع البدعة الوهابية الذين هم تركوا السواد الاعظم و خرقوا عصى الاجماع وظنوا انهم على شيئ استحـوذ عـليهم الشيطان واستولى عليهم حتى تركوا ذكر الله وأنكروا اولياء الله وشتموا اهـل الله وعبـاده الصالحين لعداوتهم وجراءتهم على الاولياء والصالحين و من نظر الى هذه المؤلـفة بعين الانصاف وأنعم النظر فيها يعلم أن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء من عباده. اذ اخذ المدرعة لضرب رؤوس اولئك الذين يوحون بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً.

وهـذا مـن اعـظـم الاجـتـهـاد فى سبيل ربّ العباد والذب عن الاولياء الصالحين وعباد الله المقربين فجزاه الله خير جزائه.

الحاج سعيد جل - بمكو
جمهورية «مالى»

ولـما وقـف على هـذه المؤلـفـة الـشريفة المريد الحقير عبد العزيز المنصور ابن الحاج يـوسـف صـمـب الله دارمى. قال فى مدح منشئها وراقمها بقلم العجالة و الاضطراب هذه الابيات:

لله درفتى أتى برسالة — من بحره الزخار ذات دلائل
عند راء لم تسبق بميدان الحمى — ردت دعاوى كل أحمق جاهل
يا مالك العالمين ظهير باطن — أبشر فسعيك واصل للعادل
صنت الطريقة اهلها بردودها — من مكر شرذمة بعزم مناضل

نرجو بك النصر المبين لنهجنا | لطريقة القطب الشهير الواصل
اعطاك ربك مبتغاك بهذه | و بتلك بالهادى الامين الفاضل
عبد العزيز كتبتها بعجالة | إذ فى القطار يقونى بتمايل [١]
انى احبك فى الاله وأحمد | ختم الرسالة والولاية عامل

الاستاذ عبد العزيز دارمى امام الجامع فى مدينة ينقام جمهورية سير اليون
SIERRA LEON

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب على عبده و جعله منهاجا لكل عابد اواب و امره فيه بان يدعو اليه بالحكمة و الموعظة الحسنة **(أُدْعُ الى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ* النحل :١٢٥)** والصلاة والسلام على معدن الحقائق ومرشد الخلائق القائل **(نضر الله امرءا سمع منا فبلغه كما سمعه.)** فرب مبلغ اوعى من سامع سيدنا محمد الهادى الى صراطه المستقيم و على آله و اصحابه حق قدره و مقداره العظيم.

و بعد: فقد اطلعت على - تأليف اخينا فى الله الاستاذ الاديب الاريب الذى انار الله عقله لخدمة الاسلام و المسلمين السيد (بالحاج مالك) ابقاه الله منارا لكل سالك، فوجدته مع صغر حجمه احسن و افضل كتاب الف فى هذا الجانب، ولم اتمالك نفسى ان قلت موجزا:

تبلج نور فى ظلام جهالة | مبينا لنا حقا منار الطريقة
فبدد اوهام الضلال التى بها | يضلّل بعض المدعين لسنّة
على يدشاب مسلم متورع | فقيه نزيه ذى تقى و مسروءة
عنيت به شمس الهداية مالكاً | حباه الاله نيل افضل منية
فلله دره فتى متشمرا | لنصرة دين الله فى كل لحظة
ابان لمن رام السعادة والرضى | سبيل الهدى مستسهلا كل صعبة

(١) لقد كتب سيادته هذا التقريظ و نحن على متن القطار بين مدينة خامي - وبمكو العاصمة

اضاء لنا نهج الحقيقة واضحا وابدى لسالك بكل نصيحة
تفيض العلوم من يديه غزيزة و يرشد جاحدا باوضح حجة
اتى بعجيب حين عبر معلنا حقائق تزري للدّعيّ بحكمة
حقائق اسلامية تزهق باطلا بنص صريح من كتاب وسنة
حقائق تحصى عن بذاءة جاهل ظلوم كذوب ناسخ للشريعة
ولن يجعل الله السبيل لظالم على مؤمن صونا الافضل ملة
فيارب وحدبين كل الطوائف على الحق حتى لانبالى بلومة
دعوناك ربى ان تمنّ لعصرنا بامثاله حتى نفوز بوحدة
فيارب جازه على ما اجاده وابدل له عماهفا بفضيلة
وسامح لمحمود و بلغه للمنى و وفرله فيضا باحسن فيضة
و عمم لكل المسلمين برحمة تدوم عليهم من ذكور و نسوة
وصل على الهادي الكريم وآله واصحابه دوما الى يوم بعثة

ونرجو الله ان تكون هذه نقطة بداية ينطلق منها ابناء بلادنا المثقفون المخلصون لدينهم الى تمحيص عقيدة الاسلام من الخرافات والاوهام التى يروجها الانتهازيون الذين ينتحلون اسم الدين سعيا وراء اغراضهم الشخصية نسأل الله الهداية والتوفيق انه على ما يشاء قدير و بالاجابة جدير.

الفقير الى الله محمود سليمان بوصو
المدرس بمدرسة «هدى الله» ص.ب: ١٨٣٦ بامكو
جمهورية «مالى»

حمدالمن أسدى جلائل الايادى واسدل بسط العلم على من حباه من الحواضر والبوادى. وحصر مذاهب الائمة الاربعة و الطرق الصوفية فى الكتاب و السنة. وجعل مقلديهم من خيرة اهل السنة و الجماعة. وصلاة وسلاما على مظهر الحقيقة والحق سيدنا محمد ناصر الحق بالحق.

وبعد وانني لما منّ الله على بمطالعة ما ألّفه صديقنا الصفي و حبيبنا الروحي السيد الحاج مالك به و نظرت اليه بعين التأمل والانصاف فوجدته صحيحاً للغاية فحق وأيم الله لكل مقلد للامام مالك. ولكل منصف سبيل القصد سالك. أن يستشهد عند وقوفه على ما اوتى مؤلفه من المعارف و المدارى بقول جمال الدين الامام مالك حين قال: و اذا كانت العلوم منحا الهية و مواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما عسر فهمه على كثير من المتقدمين و أرجو ان يجادل عنه الامام رضى الله عنه فى دار البقاء جزاء بمجادلته عنه فى دار الفناء. وان يكف عنه اكف القابضين و يقطع بسيف تحقيقاته رقاب ذوى التنطع الغالين بجاه سيد الاولين والآخرين والحمد لله ربّ العالمين

عثمان ابن عبد الله يقادو

مدرس القرآن الكريم فى مدينة قِدِينبى

ثيتور ج.مالى

تم بعون الله وحسن توفيقه تأليف هذا الكتاب و ترتيبه وذلك مساء الجمعة ٧ من شعبان عـــام ١٤٠٣ هجرية سنـــة ١٩٨٣ ميلادية نسأل الله سبحانه ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم و مقبولا لديه وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وصحبه اجمعين.

فهرسة الكتاب

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى يهدى من يشاء الى الاسلام والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته ايها الاخوة الأعزاء ابلغكم التحيات الطيبة بلا حد و بعد:

رأيت اماما من الوهابيين فى موضع الوعظ فى مدينة يو بوجلسوء وسمعت وعظه و بعد فراغه منه اتيته وقلت له: ايها الامام انت و جماعتك كلكم فى ضلال مبين فغضب علي و قال لى: كيف تقول هذا القول؟ فأجبته قائلا: قد استلمت كتابا من تركيا يسمى بـ(علماء المسلمين والوهابيون). عند ما قرأت هذا الكتاب عرفت انكم فى ضلال مبين. فقال لى: اريد ان اقرأ هذا الكتاب فأعطيته له و قرأ الكتاب بتمامه فى ثلاثة ايام. فرد على الكتاب وقال لى ما اسمك يا عزيزى فأجبته بأن اسمى غامسورى عمر فقال قد صدقت يا عمر و عرفت الآن اننا كنا فى ضلال مبين واترك انا واهلى هذا الطريق الباطل واتوب الى الله تعالى توبة نصوحا و اخذ يأتينى حينا فحينا و يشكر لى فى كل فرصة فأهديت له ذلك الكتاب مع كتاب **(مفتاح الفلاح)**

ونشكرلكم شكرا جزيلا و ندعو لكم سعادة الدارين و نطلب منكم الدعاء وارسال مجموعة من الكتب التى طبعتها مطبعة الاخلاص

وفى ختام رسالتى احمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

اخوكم فى الله غامسورى عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

معالى الشيخ الاغر الكبريت الاحمر حسين حلمى بن سعيد استانبولى تركية والى سائر الاخوة الاعزاء اسعد الله اوقاتكم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحمد الله سبحانه الذى لا اله الا هو ونشكره على ما اسبغ علينا من نعمه التى لا تحصى ونصلى على رسول الله خاتم النبيين وامام المجاهدين وعلى ءاله واصحابه اجمعين

ونشكر سماحتكم الكريمة لما تقومون به وتبذلونه من جهد كبير ونبع كثير نحونا ونحو طلاب معهد روضة الاسلام فجزاكم الله عنا وعن الاسلام خيرا كثيرا.

وبعد : فيسعدنى جدا ان احيطكم علما بان جميع ما تلقينا من سماحتكم الكريمة من كتب اسلامية صوفية وما تلقتها طلاب معهد روضة الاسلام قد وصل جميعها الينا ويبلغ عدد المبعوثة الينا والى الطلاب مائتى ملفة وفى كل ملفة ثلاث كتب او ما يزيد ومكتوب على كل ملفات اسم صاحبها من الطلاب والمدرسين ويبلغ نصيب كلٍ منهم خمسة كتب فصاعدا

ونرجو من سماحتكم الكريمة ان لا تقطعوا عنا هذا المشروع الكريم والله وحده يكافئكم ويجازيكم غير اننا فقراء ما لنا يد طولى تصل اليكم ولكن مع كل ذالك سنبذل جهد المستطيع فيما طلبتموه من العامة ارسال التبرعات فى شكل القسيمات ان شاء الله تعالى

سنة ١٤٠٤ هـ.ق.
١٣٦٢ هـ.ش.

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الاخوة الاعزاء برأسهم الشيخ الاكبر حسين حلمي
ابن سعيد استانبولي تركية اسعد الله اوقاتكم واطال حياتكم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بودي جداً ان تقدموا الى الطلاب الجاهدين والجميع
الاخوان في انحاء العالم هذه النصيحة الموجزة ونصها

امة الإسلام اعلموا ان عقائد الوهابية منحصرة في اربعة اشياء
١ اهانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه طارش
٢ اهانة اولياء الله الكرام رضي الله عنهم اجمعين
٣ تكفير السواد الاعظم الموحدين
٤ تجسيم الله سبحانه وتعالى

وقد جمعتها في هذه الأبيات

إني نصيح لكم يا أفضل الأمم — والنصح فرض على الإخوان في الحكم
إن الوهابية الملعونة الملل — قد شاع إثلاثها في الحل والحرم
يقول سالكها النبي ليس له — فضل على سائر الأشياء كالرمم
وأنه لا يطيق النفع للبشر — وأنه طارش لا قاسم النعم
يقول سالكها إن زرت ذا كرم — ملتمس الخير أنت عابد الصنم
يقول سالكها الرحمن منجلس — على سماء فكيف كان في القدم
عمت بصيرتهم عن مسلك الرشد — من النفاق وضعف العقل والهمم
يا ليتهم يعلمون ما أعد لمن — يرمي الموحد بالإشراك والوصم
صلى الإله على خير الورى وعلى — ساداتنا في إله والصحب كلهم

ابيات طالب المعهد روضة الاسلام
محمد الشيخ جرا بن محمد العربي جرا

جمهورية مالي
Rp. Mali

أحمد ابن أبي الضياف

إتحاف أهل الزمان
بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار

نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار
تونس 1963

وفي الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة 1229 . تسع وعشرين ومائتين وألف (الاثنين 13 جوان 1814 م) ، ورد البشير من الدولة العلية العثمانية ، بأخذ الحرمين الشريفين من يد الوهابي ، وأعلنت مدافع الحاضرة سرورا بذلك .

ولا بأس أن نلمّ بخبر هذا الوهابي :

وهو أن رجلا يقال له محمد بن عبد الوهاب ، من تلاميذ الشيخ ابن تيمية الحنبلي ، منع زيارة القبور ، حتى قبور الانبياء ، ومنع التوسّل بهم الى الله تعالى ، والبناء على قبورهم وصرّح بكفر من يفعل ذلك وسمّاه مشركا ، زاعما أن الزيارة والتوسل عبادة ، وهي لا تكون الا لله تعالى . وترامت بهذا الرجل الاسفار الى أن استقرّ بالدرعية من أرض نجد ، فصادف بها آذانا واعية ، وقلوبا من العلم خاوية ، وألقى لكبيرهم سعود هذا المذهب ، واستدلّ له بظواهر آيات وأحاديث اغترّ بها عامتهم حتى استباحوا قتال المسلمين . ولم يزل هذا المذهب ينمو الى أن أفضى الامر لسعود بن عبد العزيز بن سعود ، القائم الاول ، فعظم الامر في زمنه ، ونصب حرْبا للمسلمين عموما ، ولاهل الحجاز خصوصا ، وصدهم عن بيت الله الحرام ، وزيارة قبر سيد الانام ، وعاث في أهل الحجاز ، وأطلق يد القتل والنهب فيهم . واستحكم هذا المذهب في قلوب أتباعه ، والتحموا به التحام النسب . واشتدت عصبيتهم وقويت ، فطلبوا غايتها وهي الملك والسلطان . وأقاموا دعاة يدعون الناس الى مذهبهم ، مع رسائل وجّهوها لآفاق المسلمين ، فوصلت منها رسالة للقطر التونسي نصّها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شر أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدِ اللهُ فلا مضلّ له ، ومن يُضْلِلِ اللهُ فلا هاديَ له ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله . من يطعِ اللهَ ورسولَه فقد رَشَد ، ومن يعصِ الله ورسوله فقد غوَى ، ولا يَضرُّ الا نفسَه ولا يَضرُّ اللهَ شيئا . أما بعد ، فقد قال الله تعالى : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أدْعُو إلىَ اللهِ عَلَىَ بَصِيرَةٍ أنَا وَمَنِ آتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (1) . وقال الله تعالى : « قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

(1) س 12/ آ 108

ذُنُوبَكُمْ » (1) . وقال الله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » (2) . وقال الله تعالى : « اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلاَمَ دِينا » (3) ، فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمّه على لسان رسوله صلىّ الله عليه وسلم ، وأمرنا بلزوم ما أتى به الينا من ربنا ، وترك البدع والتفرّق والاختلاف . وقال تعالى : « اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ » (4) . وقال تعالى : « وَأنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيما فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (5) .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمّته آخذةٌ ما أخذه الامم قبلها شبرا فشبرا وذراعا فذراعا . وأخبر في الحديث أن أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقةً كلُّها في النار الا واحدةً ، قالوا : « من هي يا رسولَ الله ؟ » قال : « مَن كان على مثل ما أنا عليه اليومَ وأصحابي » .

واذا عرفت هذا ، فمعلوم ما عمّت به البَلْوَى من حوادث الامور التي أعظمها الإشراكُ بالله ، والتوجّهُ الى الموتى ، وسؤالُهم النصرَ على العِدَى ، وقضاءَ الحاجاتِ . وتفريجَ الكُرُبات التي لا يقدر عليها الا ربُّ الارض والسموات ؛ وكذلك التقربُ اليهم بالنذور ، وذبح القربات ، والاستعانةُ بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد ، الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح الا لله تعالى .

وَصَرْفُ شيء من أنواع العبادة لغير الله كصَرْفِ جميعها ، لانه سبحانه أغنى الاغنياء عن الشركاء ، ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه ، وأخبر أن المشركين يَدْعون الملائكةَ والانبياءَ والصالحين ليقرّبوهم الى الله زُلْفَى ، ويشفعوا لهم عنده ، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كَفّار .

وقال تعالى : « وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله قُلْ أتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » (6) ، فأخبر

(1) س 3 آ 31 – (2) س 59 آ 7 – (3) س 5 آ 3 – (4) س 7 آ 3 – (5) س 6 آ 153 – (6) س 10 آ 18

أن من جعل بينه وبين الله وَسَائِطَ لاجل الشفاعة فَقَدْ عَبَدَهُمْ وأشرك بهم ، وذلك أن الشفاعة كلّها لله كما قال تعالى : « قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعا » (1) و « مَنْ ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بإذْنِه » (2) وقال تعالى : « يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً » (3) . وهو سبحانه لا يرضى الا التوحيدَ ، كما قال تعالى : « وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى » (4) . فالشفاعة حق ، ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله ، كما قال تعالى : « وَأنَّ المَسَاجِدَ لله فَلا تَدْعُوا مَعَ الله أحَداً » (5) . وقال تعالى : « وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ الله مَا لا يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَانْ فَعَلْتَ فَإنَّكَ إذاً مِنَ الظَّالِمِينَ » (6) . فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدَمُ فَمَنْ دونه تحت لوائه ، لا يشفع الا باذن الله ، ولا يشفع ابتداء ، بل يأتي فيخرُّ لله ساجدا ، فيحمده بمحامد يعلّمه اياها ، ثم يقول له : « ارفع رأسك وَسَلْ تُعْطَ واشفَعْ تشفَّع » ، ثم يَحِدُّ له حداًّ فيُدخلهم الجنة ، فكيف بغيره من الانبياء والاولياء ؟ وهذا الذي ذكرنا لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والايمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلَهم ودَرَج على مِنهاجهم . وما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيمِ قبورهم ببناء القِباب عليها وإسرَاجِها والصلاةِ عندها وجعلِ الصدقةِ والنذور لها ، فكل ذلك من حوادث الامور التي أخبر بوقوعها النبي صلى الله عليه وسلم أمّتَه وحذّر منها ، كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يَلْحقَ حيٌّ من أمتي بالمشركين وحتى تَعْبُدَ أقوام من أمّتي الاوثان » .

وهو صلى الله عليه وسلم حَمَى جانبَ التوحيد أعظم حماية ، وسدَّ كلَّ طريق موصل الى الشرك ، فنهى أن يجَصَّصَ القبرُ ويبنى عليه ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديثِ جابر ، وثبت فيه لفظ : أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يَدَعَ قبرا مشرفا الا سوّاه . ولذلك قال غير واحد من العلماء : «يجب هدم القباب المبنية على القبور» ، لانها أسّست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(1) س 39/آ 44 – 2) س 2/آ 255 – 3) س 20/آ 109 – 4) س 21/آ 28 – 5) س 72/آ 18
(6) س 10/آ 106

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس ، حتى آل الامر الى أن كفّرونا وقاتلونا واستحلّوا دماءنا وأموالنا ، حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم ، وهو الذي ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه ، بعد ما نقيمُ عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله واجماع السلف الصالح من الايمة ، ممتثلين لقوله تعالى : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله » (1) . فمن لم يُجِبِ الدعوةَ بالحجة والبيان ، دعوناه بالسيف والسّنان ، كما قال الله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ والمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ » (2) .

وندعو الى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحجّ بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، ولله عاقبة الامور .

فهذا ما نعتقده وندين الله به ، فمن عمل على ذلك فهو أخونا المسلمُ ، له ما لنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا تزال طائفةٌ من أمته على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتيَ أمر الله ، وهم على ذلك . انتهى .

ولا يخفى أن هذا الرجل ، بنى شُبهته على أن التوسل الى الله ببركة الانبياء فمَنْ دونَهم عبادة ، والعبادة لا تكون الا لله ، ومن فعل ذلك فقد أشرك بالله . وما درى أن العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة ، سواء كانت معقولة المعنى أو تَعَبُّدِيّة ، وأن ما خرج عن التكاليف الشرعية ليس من العبادة في شيء . ولم يفرّق بين البدعة الموصلة الى الكفر ، المقتضي للقتال ، واستباحة الدماء والاموال ، وبين غيرها ، وانما قصد ملكا يريد الحصول عليه بعصبية دينية .

ولما شاعت هذه الرسالة في القطر التونسي ، بعث بها الباي أبو محمد حمودة باشا الى علماء عصره ، وطلب منهم أن يوضّحوا للناس الحقّ ، فكتب عليها العلاّمة المحقق ، نسيجُ وَحْدِهِ ، أبو الفداء اسماعيل التميمي ، كتابا مطوّلا بديعا ، يدل على يد طُولى

(1) س 8/ آ 39 – 2) س 57/ آ 25

وسعة اطّلاع ، سماه « المنح الالهية في طمس الضلالة الوهّابية » ، وأجاب عنها العلامة المحقق فخر عصره أبو حفص عمر ابن المفتي العلامة فخر المذهب المالكي أبي الفضل قاسم المحجوب ، برسالة بديعة مشتملة على الردّ عليه ، في قصده الذي صرح به والذي أشار اليه ، وهي المطابقة لمقتضى الحال ، نذكرها عوض ما أضربنا عنه من المقامات ، وأشعار التكسّب التي لا تفيد الا التقربَ للممدوح . ونصُّها :

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ (1) ، رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ القَوْمِ الكَافِرِينَ (2) . يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ، إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (3) . يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الحَرَامَ وَلاَ الهَدْيَ وَلاَ القَلاَئِدَ وَلاَ آمِّينَ البَيْتَ الحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ (4) .

أمَّا بعدَ هذه الفاتحة ، التي طلعت في سماء المفاتحة ، فانك راسلتَنا تزعُم أنك القائم بنُصرة الدين ، وانك تدعو على بصيرة لِمَا دعا اليه سيّد الاولين والآخرين ، وتحثُّ على الاقتفاء والاتّباع ، وتنهى عن الفرقة والابتداع ، وأشرت في كتابك الى النهي عن الفرقة واختلاف العباد ، فأصبحت كما قال اللهُ تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ (5) .

وقد زعمت أن الناس قد ابتدعوا في الاسلام أمورا ، وأشركوا بالله من الاموات جمهورا ، في توسلهم بمشاهد الاولياء عند الازّمات ، وتشفّعهم بهم في قضاء الحاجات ، ونذر النذور اليهم والقربات ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، وان ذلك كله اشراك برب

(1) س 7/آ 89 – 2) س 10/آ 85 و 86 – 3) س 5/آ 105 – 4) س 5/آ 2 – (5) س 2/آ 204 و 205

الارضين والسموات ، وكفر قد استحللتم به القتال وانتهاك الحرمات ، ولعمر الله أنك قد ضلَلْتَ وأضْلَلْتَ ، وركبت مراكب الطغيان بما استحللت ، وشنّعت وهوّلت ، وعلى تكفير السلف والخلف عوّلت ، وها نحن نحاكمك الى كتاب الله المحكَم ، والى السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

أما ما أقدمت عليه من قتال أهل الاسلام ، وإخافة أهل البلد الحرام ، والتسلط على المعتصمين بكلمتي الشهادة ، وأدمتم اضرام الحرب بين المسلمين وايقادَه ، فقد اشتريتم في ذلك حُطام الدنيا بالآخرة ، ووقعتم بذلك في الكبائر المتكاثرة ، وفرّقتم كلمة المسلمين ، وخلعتم من أعناقكم ربقة الطاعة والدين ، وقد قال الله تعالى : « يَا أيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ ألْقَى إلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ » (1) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله — أي ومحمد رسول الله — فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ، الا بحقّها ، وحسابهم على الله » .

وحيث كنت لكتاب الله معتمدا ، ولعماد سنته مستنداً ، فكيف بعد هذا — ويحك — تستحلُّ دماء أقوام بهذه الكلمة ناطقون ، وبرسالة النبي صلى الله عليه وسلم مصدّقون ، ولدعائم الاسلام يُقيمون ، ولحوزة الاسلام يحمون ، ولعبدة الاصنام يقاتلون ، وعلى التوحيد يناضلون ، وكيف قذفتم أنفسكم في مهواة الالحاد ، ووقعتم في شقّ العصا والسعي في الارض بالفساد ؟ .

وأما ما تأوّلته عليهم من تكفيرهم بزيارة الاولياء والصالحين ، وجعلهم وسائط بينهم وبين رب العالمين ، وزعمت ان ذلك شنشنةُ الجاهلية الماضين ، فنقول لكم في جوابه : معاذ الله أن يعبد مسلم تلك المشاهد ، وأن يأتي اليها معظما تعظيم العابد ، وأن يخضع لها خضوع الجاهلية للأصنام ، وأن يعبدها بسجود أو ركوع أو صيام ، ولو وقع ذلك من جاهل لانتهض اليه ولاة الامر والعظماء ، وأنكره العارفون والعلماء ، وأوضحوا للجاهل المنهج القويم ، وهدوه الصراط المستقيم .

(1) س 4/آ 94

وأما ما جنحت اليه ، وعولت في التفكير عليه ، من التوجه الى الموتى وسؤالهم النصرَ على العِدى ، وقضاءَ الحاجات ، وتفريجَ الكربات ، التي لا يقدر عليها الا ربُّ الارضين والسموات ، الى آخر ما ذكرتم ، مُوقِدا به نيرانَ الفُرقة والشَّتات ، فقد أخطأت فيه خطأ مبينا ، وابتغيت فيه غير الاسلام دينا ، فان التوسل بالمخلوق مشروع ، ووارد في السنة القويمة ليس بمحظور ولا ممنوع ، ومشارِعُ الحديث الشريف بذلك مفعَمةٌ ، وأدلّته كثيرة محكمة ، تضيق المهارق عن استقصائها ، ويكِلُّ اليَراع اذا كُلِف باحصائها ، ويكفي منها توسلُ الصحابة والتابعين ، في خلافة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، واستسقاؤهم عام الرمادة بالعبّاس ، واستدفاعُهم به الجدبَ والباس ؛ وذلك أن الارض أجدبت في زمن عمر رضي الله عنه ، وكانت الريح تذرو ترابا كالرماد لشدة الجدب ، فسميت عام الرمادة لذلك ، فخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس بن عبد المطلب يستسقي للناس ، فأخذ بِضَبْعَيْه ، وأشخصه قائما بين يديه ، وقال : اللهم إنّا نتقرب اليك بعمِّ نبيّك ، فانك تقول وقولك الحق : « وأمّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْن يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحا » (1) ، فحفظتَهما لصلاح أبيهما ، فاحفظِ اللّهُمَّ نبيّك في عمّه ، فقد دنونا به اليك مستغفرين ، ثم أقبل على الناس وقال : استغفروا ربّكم انه كان غفّارا ؛ والعباس عيناه تنضحان يقول : اللهم أنت الراعي لا تُهْمِلِ الضالّةَ ولا تدَعِ الكَسيرَ بدار مَضْيَعة ، فقد ضرع الصغير ورقَّ الكبير وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخْفَى ، اللّهم فَأغِثْهُم بغِياثِك قبل أن يقنَطوا فيَهْلِكوا ، انه لا ييأس من رَوْحك الا القومُ الكافرون ، اللهم فَأغِثْهم بِغياثك فقد تقرّب القومُ إليك بمكانتي من نبيك عليه السلام » ؛ فنشأت سحابة ، ثم تراكمت ، وماسَتْ فيها ريح ، ثم هزّت ، ودرّت بغيثٍ واكِفٍ . وعاد الناس يتمسّحون بردائه ويقولون له : هنيئا لك ساقِيَ الحرمين .

فأخْبِرْني — يا أخا العرب — هل تكفّرُ بهذا التوسل عمرَ بن الخطاب أميرَ المؤمنين ، وتكفّر معه سائرَ من حضر من الصحابة والتابعين ، لكونهم جعلوا بينهم وبين الله واسطةً من الناس ، وتشفّعوا اليه بالعباس ، وهل أشركوا بهذا الصنيع مع الله

(1) س 18/82

غيرَه ، وما منهم الا من أنهضته للدين القويم غَيْرَة . كلاً والله ، وأقسم بالله وتالله ، بل مكفِّرهم هو الكافر ، والحائد عن سبيلهم هو المنافق الفاجر ، وهم أهدى سبيلاً ، وأقوم قيلاً . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « اقتدوا بمن بعدي ، أبي بكر وعمر » . واذا قدحت في هذا الجمع من الصحابة الذين منهم عثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وغيرُهما ، فمن أين وصل لك هذا الدين ، و[من] رواه لك مبلغاً عن سيد المرسلين ؟ ثم ما تصنع يا هذا في الحديث الآخر الذي رواه مسلم في صحيحه مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم في أوَيْس ، وأنه أخبر به عليه الصلاة والسلام وهو من أعلام النبوءة ، وأمر عمر بطلب الاستغفار منه ، وأنه طلب منه ذلك واستغفر له . وقد قال الله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام : « يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ » (1) .

فالزائر للأولياء والصالحين اما أن يدعو الله لحاجته ، ويتوسل بسرِّ ذلك الولي في إنجاح بُغيته ، كفعل عمر في الاستسقاء ، أو يستمدَّ من المَزُور الشفاعةَ له وإمدادَه بالدعاء ، كما في حديث أوَيْس القَرَنِيِّ ، اذ الاولياء والعلماء كالشهداء أحياء في قبورهم ، انما انتقلوا من دار الفناء الى دار البقاء .

فأيُّ حرج بعد هذا يا أيها القائم للدين ، في زيارة الاولياء والصالحين ؟ وأي منكر تقوم بتغييره ، وتقتحم شَقَّ العصا وإضرام سَعِيرِه ؟ ولعلك من المبتدعة الذين ينكرون أنواعا كثيرة من الشفاعة ، ولا يثبتونها الا لاهل الطاعة ، كما أنه يلوح من كتابك انكار كرامات الاولياء ، وعدم نفع الدعاء ، وكلها عقائد عن السنّة زائغة ، وعن الطريق المستقيم رائغة .

وقولكم ان ما قلتموه لا يخالف فيه أحد من المسلمين ، افتراء ومَيْن ، والحاد في الدين ، لان أهل السنّة والجماعة ، يثبتون لغير الانبياء الشفاعة ، كالعلماء والصلحاء وآحاد المؤمنين ، فمنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للفِئَام من الناس ، كما ورد أيضا أن أويس القرني يشفع في مثل ربيعة ومضر . وأما المعتزلة فانهم منعوا شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وأثبتوا الشفاعة العظمى من هول الموقف ، والشفاعةَ للمؤمنين المطيعين أو التائبين في رفع الدرجات ، ولم يثبتوا الشفاعة لاهل الكبائر الذين لم يتوبوا ، في النجاة من النار ، بناء على مذهبهم الفاسد من التكفير بالذنوب ، وأنه يجب عليها التعذيب .

(1) س 12/آ 97

وأما ما جنحت اليه من هدم ما بَنِـيَ على مشاهد الاولياء من القِباب ، من غير تفرقة بين العامر والخراب ، فهـي الداهية الدهياء والعظيمة العظمى من الظلم ، التـي أضلك الله فيها على علم ، « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا الاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . (١) وكأنك سمعت في بعض المحاضر ، بعض الاحاديث الواردة في النهـي عن البناء على المقابر ، فتَلَقَّفْته مجملاً من غير بيان ، وأخذته جُزافا من غير مِكيال ولا ميزان ، وجعلت ذلك وَلِيجَةً الى ما تقلدته من العسف والطغيان ، في هدم ما على قبور الاولياء والعلماء من البنيان . ولو فاوضت الايمة ، واستهـديت هداة الامة ، الذيـن خاضـوا من الشريعة لُججَها ، واقتحموا ثبَجَها ، وعالجوا غِمارَها ، وركبوا تيَّارَها ، لاخبروك أن محلَّ ذلك الزجر ، ومطلع ذلك الفجر ، في البناء في مقابر المسلمين ، المعدَّة لـدفن عامّتهم لا على التعيين ، لِمَا فيه من التحجير على بقية المستحقين ، ونبش عظام المسلمين. وأما ما يبنيه المسلمون أو الكفّار في أملاكهم المملوكة لهم ، ليَصِلوا بمن يُدْفَن هناك حبلَهم ، فلا حرج يلحقهم ، ولا حرْمة ترهقهم . فكما لا تحجير عليهم في بناء أملاكهم دُورا أو حوانيت أو مساجد ، كذلك لا حرج عليهم في جعلها قبابا أو مقامات أو مشاهـد .

ثم ليتك اذ تلقفت ذلك منهم ، ووعيته عنهم ، أن تعيد عليهم السؤال ، وتشـرح لهم نازلة الحال ، وهل يجوز بعد النزول والوقوع ، هدم ما بني على الوجه الممنوع ، وهل هذا التخريب محظور أو مشروع . فاذا أجابوك أنه من معارِكِ الانظار ، ومحل اختلاف العلماء والنُّظّار ، وأن منهم من يقول بابقائه على حاله ، رعيا للحائز في اتلاف ماله ، وأن له شبهة في الجملة تحميه ، وفي ذلك البناء منفعة للزائر تَقِيه . ومنهم من شدد النكير ، وأبى الا الهدم والتغيير . فاذا تحقق عندك هذا ، فكيف تقدم هـذا الإقدام وتخوض مزالق الاقدام ، وتطلق العنان في هدم كل مقام ، من غير مراعاة إلٍّ في الدين ولا ذمام . فاذا انفتحت لك هذه الابواب ، نظرت بنظر آخر ليس فيه ارتياب ،

(١) س 2/I 114

وهو أن المنكـَـر الذي اقتضى نظرُك تغييرَه ، ليس متفقا عليه عند أهل البصيرة ، وأنه من مدارك الاجتهاد ، وقد سقط عنك القيام فيه والانتقاد . ثم بعد الوصول الى هذا المقـام ، أعد نظرا في ايقاد نار الحرب بين أهل الاسلام ، واستباحة المسجد الحرام ، واخافـة أهل الحرمين الشريفين ، والاستهوان لاصابة لعنة الله والملائكـة والناس أجمعين ، فسيتضح لك أنك غيَّرت المنكـَـر في زعمك ، وبحسب اعتقادك وفهمك ، وأتيت بجمل كـثيرة من المناكـر ، وطائفة عديدة من الكـبائر ، آذيت بها نفسك والمسلمين ، وابتغيت بها غير سبيل المؤمنين ، وتعرضت بها لاذاية الاولياء والصالحين ، وقد قال النبـي عليه الصلاة والسلام ، في حديث رواه البخاري والامام ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل قال من عادَى لي وليـًّا فقد آذنني بحرب » ، فـكـفى بالتعرض لحرب الله خطرا ، وقذفا في العـَطـَب وضررا .

واما إنـكـار زيارة القبور ، فأي حرج فيها أو محظور ، وأي ذميمة تطرقها أو تعروها ، مع ثبوت حديث « كـنت نهيتكـم عن زيارة القبور فزوروها » ، فان هذا الحديث ناسخ لما ورد من النهـي عن زيارتها ، وماحٍ لما في أول الاسلام من حماية ألامة من أسبـاب ضلالتها ، لقرب عهدها بجاهليتها ، وعبادة أصنامها وآلهتها . وكـيف تمنـع من زيارتها ، والنبـي صلى الله عليه وسلم قد شرعها ، وسَامَ رياضَها وأَرْبُعَـها ، فقد ثبت في حديث عائشة أم المؤمنين ، أنه صلى الله عليه وسلم زار بقيـع الغـَرْقـَدِ واستغفر فيه لموتى المسلمين ، وثبت أيضا أنه زار قبر أمه آمنة بنت وهب واستغفر لها .

وأخذ بذلك الصحابة والتابعون ، ودرج عليه العلماء والسلف الماضون ، فقد ثبت في الاحاديث المروية عن أيمة الهدى ، ونجوم الاقتداء ، أن فاطمة سيدة نساء العالمين زارت عمها سيد الشهداء ، وذهبت من المدينة الى جبل أحد ، ولم ينـكـر من الصحابة أحد ، وهم اذ ذاك بالمدينة متـآمرون ، وعلى اقامة الدين متناصرون . أفتجعل هؤلاء أيضـا مبتدعين ، وأنَّهم سكـتوا عن الابتداع في الدين ؟ كـلا والله ، بل يجب علينا اتّباعهم ، ومن أدلة الشريعة إجمـاعـُهم .

وقد مضت على ذلك العلماء في جميـع الاقطار ، وانتدبوا بأنفسهم للاستمداد من قبور الصلحاء ، وقضاءِ الاوطـار ، وخلـّدوا ذلك في كـتبهـم ومؤلفاتهـم ، وسطـروه في

دواوينهم وتعليقاتهم وقسموا الزيارة الى اقسام وأوضحوا ما تلخص لديهم من الاحكام

وذلك أن الزيارة ان كانت للاتعاظ والاعتبار ، فلا فرق في جوازها بين قبور المسلمين والكفار ، وان كانت للترحم والاستغفار من الزائر ، فلا منع فيها الا في حق الكافر ، فان الشريعة أخبرت بعدم غفران كفره ، وعليه حملوا قوله تعالى : « وَلاَ تُصَلِّ عَلَىَ أحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ » (1) . وان كانت الزيارة لاستمداد الزائر من المزور ، وتوخي المكان الذي فضله مشهور ، والدعاء عند قبره لامر من الامور ، فلا حرج فيها ولا محظور ، بل هو مندوب اليه ، ومرغّب فيه ، وانه مما تشدُّ المطيُّ اليه ، ومن خالف في هذا الحكم سبيل جمهورهم ، واتّبع من الشبهات مخالف منشورهم ، فقد شدد العلماء في النكير عليه ، وسددوا سهام النقد اليه ، وأشرعوا نحوه رماح التضليل ، وأرهفوا له سيوف التجهيل ، واتفقت كلمتهم على بدعته في الاعتقاد ، وثنوا اليه عنان الانتقاد ، « ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ».

وأما النهي الوارد في شد المطيِّ لغير المساجد الثلاثة فانما هو بالنسبة لنذر الصلاة فيها ، فانه لا يختلف ثواب الصلاة لديها .

وأما المزارات فتختلف في التصريف مقاماتها ، وتتفاوت في ذلك كراماتها ، وذلك لسرٍّ في الاستمداد والامداد لا تطّلع عليه ، وضُرِبَ بسُور له باب بينك وبين الوصول اليه ، وقد أوضح ذلك حجّة الاسلام ، ومن شهد له بالصدّيقيّة العلماء والاولياء العظام .

وأما ادماجكم لقبور الانبياء في أثناء النكير ، والتضليلُ لزائرها والتكفير ، فهو الذي أحفَظَ عليكم الصدور ، وأترَعَ حِيَاضَ الكراهة والنفور ، وسدد اليكم سهام الاعتراض ، وأوقد شُوَاظ البغض والارتِماض .

فقل لي — يا أخا العرب — هل قمت لنصرة الدين أم لنقض عُرَاه ، وهل أنت مصدق بالوحي لنبيه أم قائل : إِنْ هو الاَّ إِفْكٌ افتراه ؟ وما تصنع بعد اللّتَيّا والتي ، في حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » ؟ وأخبرني هل تَضَلَّل سليمان بن داود

---

(1) س 9/آ 84

في بنائه على قبر الخليل ، ومن معه من أنبياء بنـي اسرائيل ؟ وما تقول — ويحك — في الحديث الذي رواه جهابذة الرواة ، وصحّحه المحدّثون الثقـات ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لمّا أسريَ بي الى بيت المقدس ، مرَّ بِـي جبريل على قبر ابراهيم عليهما السلام ، فقـال لي إنْزِل فصلِّ هنا ركـعتين ، فان ههنا قبرَ أبيك ابراهيـمَ عليه السلام» ؟ وعنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر أنه قال : « من لم تُـمْـكِـنْـه زيارتـي فليزُرْ قبر ابراهيم الخليل عليه السلام » . فأين تذهب بعد هذا يا هذا ؟ وهل تجد لنفسك مدخلا أو معاذا ؟ وهل أبقيت بعد تضليل جميـع الانبياء ملاذا ؟ « رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ» .(1)

وأما تلميحكم للاحاديث التي تتلقفونها ، ولا تحسنونها ولا تعرفونها ، فَـهِـمْتُـم بسبب ذلك في أودية الضّلالة ، ولم تَـشِـيمُوا بها الا بُـرُوقَ الجهالة ، وسلكـتم شِعابَها من غير خبير ، ونَـحَـوْتُـم أبوابَها بلا تدبُّر ولا تدبير ، فان حديث « لا تتخذوا قبـريَ مسجدا » ، مَحْمَلُه عند البخاري على جعله للصلاة متعبَّدا ، حفظا للتوحيد ، وحماية للجاهل من العبيد ، لان المصلّـيَ للقبلـة يصير كـأنه مصلٍّ اليه ، فحمى صلى الله عليه وسلم حِـمَى ذلك من الوقوع فيه . وأما قصده للزيارة والاستشفاع ، والاستمداد ببركـته والانتفاع ، وقصد المسلمين اياه من سائر البقاع ، فما يسعنا الا الاتّباع .

وكـذلك ما لوَّحْـتَ به الى شدِّ الرِّحال ، فانك أخطأت في الاستشهاد به في نازلة الحال ، وذلك أن الحصر في المساجد ، دون سائر المشاهد .

وكـذلك ما لمحت اليه من حديث تعظيم القبر باسراجه ، فانك أخطأت فيه واضح منهاجه ، مع بهرجة نقده في رواجه ، ومَحْمَلُه — على فرض صِحّته — على فعل ذلك للتعظيم المجرّد عن الانتفاع للزائرين ، أما اذا كـان القصد به انتفاعَ اللائذين والمقيمين ، فهو جائز بلا مَيْن .

وأمّا ما تدّعونه من ذبـح الذبائح والنّذور ، وتبالغون في شأنها التغيير والتنكـير ، وتصف ألسنتكم الكـذب ، وتثيرون في شأنها الهرج والشغب ، فكـون الذبائح المذكورة ممـا أهِلَّ به لغير الله مكـابَرةٌ للعيان ، وقذفٌ بالإفك والبهتان ، فانّا بلونا أحوال أولئك الناذرين ، فلم نر أحدا منهم يسمّي عند ذبحهـا اسم وليٍّ من الصالحين ، ولا يلطـخ

(1) س 3/آ 8

الضرّائح ، بدم تلك الذبائح ، ولا يأتون بفعل من الافعال ، الحاكمة على تحريم الذبيحة والاهلال .

وأما نذرها لتلكم المزارات ، فليس على أنها من باب الديانات ، ولا أن من لم يفعل ذلك يَكُنْ ناقص الدين في العادات ، وانما يقصدون بذلك مقاصد الرُّقَى والنُّشُر(1) ، والانتفاعَ في الدنيا بسرٍّ في التصدق بها استتر ، ولم يدر منها الا ما اشتهر .

والواجب علينا وعليكم الرجوع في حكم نذرها الى العلماء الاعلام ، المتضلعين من دراية الاحكام ، المقيمين لقسطاسها ، المسرجين لنبراسها ، الناقبين على أساسها ، ومن لديهم محكٌّ عَسجدِها ونحاسِها .

فان كنتم للحق تقيمون ، ومن مخالفة الشريعة تتجرمون ، « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ » ، « وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ » ، فانهم يهدونكم السبيل ، ويفتونكم في هذه المسألة بالتفصيل ، وأنّ هذا الناذرَ ان نذر تلك الذبائح للوليّ المعيّن بلفظ الهدي والبَدنة ، فقد جاء بالسيئة مكان الحسنة . ولكن ما رأينا من خلع في هذا المحظور رَسَنَه ، ولاَ من اهتَصرَ فَنَنَه ، وإنْ نذر تلك الذبائح لمحل الزيارة ، بغير هاته العبارة ، وكان من الذبائح التي تقبل أن تكون هديا ، فهل يلزمه أن يسعى به لذلك المزار سعيا ، أو لا يلزمه الا التصدق به في موضعه رعيا ، خلاف في مذهب مالك شهير ، قرره العلماء النحارير . وان كان ذلك النذر مما لا يصح إهداؤه ، فالقاصد للفقراء الملازمين بمحل الشيخ يلزمه بعثه وإنهاؤه ، والقاصد للوليّ في نذره وتشرعه (2) ، لا يلزمه الا التصدق به في موضعه .

واذا اتضح لديك الحال ، فأيّ داعية للحرب والقتال ؟ وهل يتميز المشروع من هذه الصور بالمحظور ، الا بالنيات التي لا يعلمها الا العالم بما في الصدور ؟ والله انما كلفنا بالظاهر ، ووَكَلَ اليه أمرَ السرائر . ولم يقيّض بالخواطر نقيبا ، ولا جعل عليها مهيمنا من الولاة ولا رقيبا .

---

(1) النشرة بضم النون : ضرب من الرقية والعلاج ، يعالج به من كان يظن ان به مسا من الجن (النهاية لابن الاثير)

(2) تشرع : اتبع شريعة او دينا (دوزى)

واذا التزمت سدّ الذريعة بالمنع من المشروع ، خوفا من الوقوع في الممنوع ، فالتزم هذا الالتزام ، في سائر العبادات الواقعة في الاسلام ، التي لا تفرقة فيها بين المسلم والكافر ، الا بما انطوت عليه الضمائر . فان المصلي في المسجد يحتمل أن يقصد عبادة الحجارة ، بمثل ما احتمل صاحب الذبائح والزيارة ، والصائم يحتمل أن يقصد بصومه تصحيح المزاج ، أو المداواة والعلاج ، والمزكي يحتمل أن يقصد مقصداً دنيويا ، أو معبودا جاهليا ، والمحرم بحجٍّ أو عمرة ، يحتمل أن ينوي ما يوجب كفره .

واذا وصلت الى هذا الالتزام ، نقضت سائر دعائم الاسلام ، والتبس أهل الكفر بأهل الايمان ، وأفضى الحال الى هدم جميع الاركان ، واستبيحت دماء جميع المسلمين ، وهدمت صلواتهم ومساجدهم وصوامعهم أجمعين .

فانظر أيها الانسان ، ما هذا الهذيان ، وكيف لعب بك الشيطان ، وماذا أوقعك فيه من الخسران . فارجع عن هذا الضلال المبين ، وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمْنا لنكونَنَّ من الخاسرين .

وأما ما جلبتم من الاحاديث الواردة في تغيير النبي صلى الله عليه وسلم للقبور ، وأنه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بطمسها وتسويتها ، فقد أخطأتم الطريق في فهمها ، ولم يأتِكم نبأ عِلْمِها ، ولو سألتم عن ذلك ذويه ، لاخبروكم بأن محمله طمس ما كانت الجاهلية عليه ، وكانت عادتهم اذا مات عظيم من عظمائهم ، بنوا على قبره بناء كَأُطُمٍ من آطامهم ، مباهاة وفخرا ، وتعاظما وكبرا ، فبعث صلى الله عليه وسلم من يمحو من الجاهلية آثارها ، ويطمس مباهاتها وفَخَارها ، والا فلو كان كما ذكرتم ، لكان حكم التسنيم (1) كحكم ما أنكرتم .

واذا استبان لكم واتضح لديكم ، انقلبت الحجة التي أتيتم بها عليكم ، وكيف تجعلون تلك الاحاديث حجة قاضية ، على وجوب كون القبور ضاحية (2) ، والفرق ظاهر بين البناء على القبور ، وحفر القبور تحت البناء ، فالاول من فعل الجاهلية الوارد فيه ما ورد ، والثاني هو الذي يعوزكم فيه المستنَد ، ولا يوافقكم على تعميم النهي احد .

(1) تسنيم القبر خلاف تسطيحه . وقبر مسنم اذا كان مرفوعا عن الارض (اللسان) .

(2) الضاحي من كل شيء البارز الظاهر (اللسان)

وأما ما نزعتم اليه من التهديد ، وقرعتم فيه بآيات الحديد ، وذكرتم «أن من لم يُجب بالحجة والبيان ، دعوناه بالسيف والسنان»، فاعلم يا هذا أننا لسنا ممن يعبد الله على حرف ، ولا ممن يفرُّ عن نصرة دينه من الزحف ، ولا ممن يظن بربه الظنون ، أو يتزحزح عن الوثوق بقوله تعالى : « فَاذَا جَاءَ أجَلُهُمْ لا يَسْتَأخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ » (1) ، ولا ممن يميل عن الاعتصام بالله سرًّا وعلنًا ، أو يشك في قوله تعالى : « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا » (2) ، وما بنا من وهن ولا فشل ، ولا ضعف في النكاية ولا كسل ، ننتصر للدين ونحمي حماه ، وما النصر الا من عند الله .

وأما ما جال في نفوسكم ، ودار في رؤوسكم ، وامتدت اليه يد الطمع ، وسوَّلته الاماني والخدع ، من أنكم من الفئة الذين هم ومن حالفهم ، لا يضرُّهم من خالفهم ، وأنكم من الطائفة الظاهرين على الحق ، وأن هذه المناقب تساق اليكم وتَحقُّ ، فكلاَّ وحاشا أن يكون لكم في هذه المناقب من نصيب ، أو يصير لكم ارثها بفرض أو تعصيب، فان هذا الحديث وان كان واردا صحيحا ، الاأنكم لم تُوَفُّوا طريقه تنقيحا ، فان في بعض رواياته « وهم بالمغرب » وهي تحجبكم عن هذه المناقب ، وتبعدكم عنها بعد المشارق من المغارب .

فانفض يديك ، مما ليس اليك ، ولا تمدَّنَّ عينيك ، الى من حُرِّمت عليك ، فانكاح الثّريا من سهيل ، أمكَنُ من هذا المستحيل .

أما أهل هذه الاصقاع ، والذين بأيديهم مقاليد هذه البقاع ، فهم أجدر أن يكونوا من اخواننا ، وتمتدُّ أيديهم الى خِوَانها ، لصحة عقائدهم السُنيَّة ، واتباعهم سبيلَ الشريعة المحمَّدية ، ونبذهم للابتداع في الدين ، وانقيادهم للاجماع وسبيل المؤمنين .

وقد أنبأتنا في هذا الكتاب ، وأعربت في طيِّ الخطاب ، عن عقائد المبتدعة ، الزائغين عن السنة المتّبعة ، الراكبين مراكب الاعتساف ، الراغبين عن جمع الكلمة والائتلاف ، فالنصيحةُ النصيحةُ ، أن تنزع لباس العقائد الفاسدة وتتسربل العقائد الصحيحة ، وترجِعَ الى الله وتؤمن بلقاه ، ولا تكفِّرَ أحدا بذنبٍ اجتناه.. فان تبتم فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزِي الله .

(1) س 7/آ 34 – 2) س 9/آ 51

وزبدة الجواب وفذلكة الحساب ، انك ان قفوت يا أخا العرب نصحك ، وأسَوْت بالتوبة جرحك ، وأدملت بالانابة قرحك ، فمرحبا بأخي الصّلاح ، وحَيَّهَلاً بالمؤازر على الطاعة والنجاح ، وجمع الكلمة والسماح ، وان أطلت في لُجّة الغواية سبْحَك ، وشيدت في الفتنة صرحكَ ، واختَلَتَ عارضا رُمحَك ، فان بني عمك فيهم رماح ، وما منهم الا من يتقلد الصّفاح ، ويجيل في الحرب فائز القِداح .

والله تعالى يسدّد سهام الامة الساعية فيما يحبه ويرضاه ، ويُخْمِد ضَرام الفئة الباغية حتى تفيءَ الى أمر الله . والسلام .

وبعث حمودة باشا بهذه الرسالة الى القائم الوهّابي فلم يجب عنها . ولجّ في حروبه وقتاله ، الى أن كانت الهزيمة آخر حاله ، على يد رجل الدنيا وواحدها الطائر الصيت في جهات المعمور ، من ردّ الله به مصر الى شبابها ، رد شباب امرأة العزيز ليوسف الصدّيق ، وهو أبو عبد الله محمد علي باشا ، عزيز مصر ، رحمه الله .

⁂

اسماء الكتب التى نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب العربية

اعداد صفحاتها

الكتب العربيــة	اعداد صفحاتها

اسماء الكتب التى نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب الفارسية

اعداد صفحاتها

الكتب العربية مع الاردوية والفارسية مع الاوردية والاردية

BOOKS PUBLISHED BY HAKİKAT KİTABEVİ

(P.K.35 Fâtih, Istanbul-Turkey)

ENGLISH:

1 — Endless Bliss, I, 6th ed., 248 pp., 1985
2 — Endless Bliss II, 6 th ed., 296 pp., 1985
3 — Endless Bliss III, 5th ed., 160 pp., 1985
4 — Endless Bliss IV, 6th ed., 326 pp., 1985
5 — Endless Bliss V, 4th ed., 152 pp., 1985
6 — The Religion Reformers in Islam, 6th ed., 264 pp., 1986
7 — The Sunni Path, 10th ed., 96 pp., 1986
8 — Belief and Islam, 10th ed., 96 pp., 1986
9 — Evidences for Prophethood and Answer to a University Student, 6th ed., 128 pp., 1985
10 — Answer to an Enemy of Islam, 9th ed., 128 pp., 1986
11 — Advice for the Muslim, 6th ed., 320 pp., 1985
12 — Islam and Christianity, 1st ed., 200 pp., 1986

FRENCH:

1 — Al rad al jamıl, Ayyuha'l-walad (Al-Gazâli), 1st ed., 104 pp.,1986
2 — Islam et la voie d'ahl-i Sunnat, 4th ed., 88 pp., 1983
3 — Foi et Islam, 5th ed., 104 pp., 1983
4 — İslam et christianisme, 1st ed., 1986
5 — L'Evidence de La Prophétie, 2nd ed., 80 pp., 1980

GERMAN:

1 — Islam und der Weg der Sunniten, 4th ed., 96 pp., 1986
2 — Glaube und Islam, 3rd th., 72 pp., 1986
3 — Islam und Christentum, 1st ed., 1986

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

هـذا الـكـتـاب (الحقائق الاسلامية فى الرد على المزاعم الوهابية) ألفه مالك به بن داود مدير (مدرسة العرفان) بمدينة «كوتيالا» بجمهورية «مالى» الواقعة فى قارة أفرقيا سنة ١٤٠٣هـ.الموافق ١٩٨٣م. يقول المؤلف فى كتابه هـذا :«أن المسلمين افترقوا على فرق متعددة عبـر الـتاريخ الا أنهم لم يكفروا مخالفيهم من المسلمين ولكن بعد ظهور فرقة الوهابية مـنـذ حـوالى مـائتين (٢٠٠) عاما كفروا من المسلمين من خالفهم و نصحهم بألا يغالوا فى الامـر وألاّ يـقـوموا بالتفرقة بين المسلمين و ذكرهم بأن نبينا صلى الله عليه وسلم قال لعامة المـسـلـمين (أمـتـى) و طالبهم بأن يعدلوا عن هذه الفكرة و دعاهم الى التحبب والتآخى و الـتـضـامن و التساند الاسلامى و العمل سو يا من أجل هذا الهدف و قد أثبت لهم بالادلة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن ديننا يدعونا و يأمرنا بالإتحاد والمعاونة.»

مكتبة الحقيقة

This work, **Al-haqâ'iq al-Islamiyya fi 'r-raddi 'ala 'l-mazâ'imi 'l-Wa hhâbiyya,** was writtin by Mâlik bâ bin Dâwud, Director of **Madrasat al-'Irfân** in Koutiula, Republic of Mali, Africa, in 1403 A.H. (1983). In this book, he states that, though Muslims have been divided in various groups, in the course of history, they all called one another "Muslims", that the Wahhâbîs, who came about two centuries ago, say "unbelievers" or "polytheists" for all the Muslims who do not follow their path; he advises them that they should not be excessive and disunionist as such. He reminds that our prophet said "My Ummat" for all Muslims regardless of their group; he urges that the Wahhâbîs should get rid of such disunionism and that all Muslims should love one another and work as brother hand in hand. The author documents with âyats and hadîths that Islam commands uniting and cooperation.

İşbu (**El-hakâik-ul-islâmiyye firreddi-alel-mezâ'im-il-vehhâbiyye**) kitâbını Afrikada Mali Cumhûriyetinin Koutiala şehrindeki (**Medrese-tül irfân**) müdürü Mâlik beh bin Dâvud 1403 [m.1983] senesinde yazmışdır. Bu kitâbında, müslümanlar târih boyunca çeşitli fırkalara ayrılmışlar ise de, hepsinin birbirlerine müslüman dediklerini, ancak ikiyüz sene önce ortaya çıkan vehhâbîlerin, kendilerine uymıyan bütün müslümanlara kâfir, müşrik dediklerini bildirmekde, böyle taşkınlık, bölücülük yapmamaları için, onlara nasîhat vermektedir. Peygamberimizin, hangi fırkada olursa olsun, bütün müslümanlara (Ümmetim) dediğini hatırlatmakda, vehhâbîlerin böyle bölücülükden vazgeçmesini, bütün müslümanların sevişmelerini, elele vererek, kardeş olarak çalışmalarını istemekdedir. Dînimizin birleşmeği, yardımlaşmağı emr etdiğini, âyet-i kerîmeler ve hadîs-i şerîflerle isbât etmektedir. Kitap arabçadır. İçinde osmanlıca yazı hiç yokdur.

Hakîkat Kitâbevi